الفنون الصخرية في وادي غَثْرَان بمحافظة رَنْيَة– منطقة مكة المكرمة
كشف أثري جديد[1]

Rock art in Wadi Ghathran, Rania Governorate- Makkah Region
New archaeological discovery

د/ محمود عبدالباسط
مدرس بقسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر
mabdelpasset86@cu.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مجموعة جديدة من الفنون الصخرية في وادي غَثْرَان– مركز الأملح بمحافظة رنية في منطقة مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، وهو وادٍ لم يسبق لأحد الإشارة إلى فنونه من قبل في أي دراسة تاريخية أو أثرية، وبالتالي فإنّهاَ تُعدّ إضافةً جديدة لما هو معروف حتى الآن، وتأكيداً على كونه من الأماكن التي تمَّ استيطانها في عصور ما قبل التاريخ وفي الفترات الزمنية اللاحقة. تقوم هذه الدراسة على وصف تلك الأعمال الفنية دراسة وصفية ثم تحليلية– مقارنة سعياً وراء محاولة تأريخها وتحديد الأساليب الفنية المستخدمة في تنفيذها ومعرفة دلالاتها الحضارية، ومن قبل ذلك محاولة الوصول إلى جذر الاسم ومعناه، علاوة على تحديد بعض الجوانب الجغرافية والطبوغرافية والجيولوجية والتاريخية– الأثرية له. وتؤكد دراسة فنون تلك الواجهات أو الكتل الصخرية المنتشرة بما تتضمنه من هيئات آدمية وحيوانية متعددة جنباً إلى جنب مع الكتابات العربية القديمة (الثمودية) على أنَّ وادي غثران من المواقع الأثرية المهمة التي تحتاج إلى أعمال المسح والتوثيق والتنقيب الأثري.

الكلمات الدالة:

الأساليب الفنية، ثمودية، رَنْيَة، سبيع، غَثْرَان.

Abstract:

This research aims to study a new group of rock art in Wadi Ghathran/ Ġaṯrān, center of Al-Amlah, Raniya Governorate in the Makkah region- Saudi Arabia. The valley whose arts have never been mentioned before in any historical or archaeological study, and therefore, these arts are a new addition to what is known so far, and an affirmation of the Wadi being one of the places that were settled in prehistoric times and in subsequent time periods. The research is based on a descriptive and then analytical-comparative study of these artworks, seeking to attempt to date them, determine the artistic methods used in their implementation, and to know their cultural connotations. Before that, to try to reach the root of the name and its meaning, in addition to identifying some of its geographical, topographical, geological and historical-archaeological aspects. The study confirms that Wadi Ghathran is one of the important archaeological sites that need archaeological survey and documentation work.

Keywords:

Artistic methods, Ghathran, Raniya, Subaiʿ, Thamudic.

غَثْرَان: الاسم والموقع

غَثْرَان على وزن فَعْلَان، من الجذر "غ ث ر". قَالَ الليثُ: الأغثرُ والغثراءُ مِنَ الأكسيةِ: مَا كثرَ صُوفه وزئبَرُه[2]، وَبِه شُبِّه الغَلْفقُ[3] فَوق المَاء، وقَالَ: الأغثرُ: من طير المَاء: طَوِيل العُنق فِي لَونه غثرَة (أي ملتبس

Print ISSN: 2535-2377
Online ISSN: 2535-1400
DOI: 10.21608/archmu.2025.415412.1327

الريش). وَقَالَ غَيره: أغثرَ الرِّمْثُ وأغفر: إِذا سَالَ مِنْهُ صَمْغٌ حُلْو يُقَال لَهُ المُغْثور والمِغثر، وَجمعه المغاثير والمغافير. وَقَالَ ابْن الفرَج: قَالَ الأصمعيُّ: تركت الْقَوْم فِي غَيْثرة وغَيْتمة: أَي فِي قتال واضطراب، والأَغْثَرُ: الأَغْبَرُ، وهو بين الغَثَرِ[4]. الغثرة": غبرةٌ إلى حمرةٍ، وطلسةٌ إلى دبسةٍ. يقال للأنثى: "غثراء" وللذكر "أغثر". قال أبو عمرو: "غثرٌ": في لونها بياضٌ في كدرةٍ[5]. والغيثرة أيضاً في الرأس: ضفو شعره وكثرته. وغثرت الأرض بالنبات فهي مغثرية: إذا مادت بالنبات. ووجدت الماءَ مغثرياً بالورد: إذا كان مكثوراً عليه. والغَثْرَة: الخِصْب والسَّعَة. واغْثَارَّ ثَوْبُكَ: أي كَثُرَ غَثَرُه أي زِئْبِرُه. والغَثْرَاءُ: الضَّبُعُ، وكذلك غَثَارِ. ويُقال للمَغافِير: مَغاثِيرُ. والغَثْرَاءُ: الكَثيرةُ الشَّجَرِ واليَبِيْس والناس[6]. الأَغْثَرُ، قريب من الأغبر. ويُسمَّى الطحلبُ أغثر، والغثرة: غبرة إلى خُضرةٍ. والمُغْثورُ: لغة في المُغفور، وهي شئ يَنضَحه العُرْفُطُ والرِمْثُ مثل الصمغ، وهو حلوٌ كالعَسَل يؤكل، وربَّما سال لَثاهُ على الثَرى مثل الدِبسِ، وله ريحٌ كريهة[7]. الْأَغْثَرِ هُوَ الطُّحْلُبُ الْمُجْتَمَعُ[8]. غثر الْمَكَان بالنبات غَثْراً كثُر فِيهِ، وغثر الطَّائِر وَالثَّوْب غثرة كَانَ فِيهِ لون الْغُبَار[9]. يُلاحظ أنَّ للجذر "غ ث ر" عدةَ معانٍ في اللغة العربية الفصحى، ولكنها تدور في معظمها حول معنى الوفرة والسَّعَة والكثافة والخصب أو اللون الضارب إلى الحمرة أو الخضرة، ولعل اسمَ الوادي جاء في ارتباط مع لون الصخور والرمال المحيطة به أو مع ما يتمتع به من وفرة في الأشجار والشجيرات التي ما زالت موجودة بكثرة حتى وقتنا الحاضر مثل الرمث والسلم والسمر والعشر والسدر والطلح وغيرها من الحشائش والنباتات التي تجعله يبدو كغابة غنية بشجيراتها ونباتاتها (لوحة 1).

أشار الجاسرُ في معجمه إلى آل غُثْرَان (بضم الغين المعجمة وإسكان الثاء المثلثة وفتح الراء بعدها ألف فنون): وجعلها من قرى عُضَيْدَات من بني عمرو[10]، في السراة شرق جبلي المَطْلى[11]، في إمارة بلاد عسير[12]. كما ذكر –أثناء رحلته من الباحة إلى العقيق البالغة 43كيلاً– أنَّ غَثْرَان (بالغين المفتوحة فثاء ساكنة، فراء مفتوحة ممدودة، فنون) وادٍ لآل حِلَّة (بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة فهاء) من بادية غامد، يبعد عن الباحة من شرقها عشرة أكيال[13]. ويُفهم مما ذكره "الجاسر" وجود وادٍ آخر بالاسم نفسه، ولكنه ليس الوادي موضوع هذه الدراسة. أما الإشارة المعروفة للوادي موضوع البحث والتابع حالياً لمركز الأملح بمحافظة رنية أحد محافظات منطقة مكة المكرمة (خريطة 1، 2)، فجاءت عند فؤاد حمزة إذ يقول: "ويفيض في وادي رنية من اليمين شعيب البَحْرة، ومن الجهة اليسرى شعيب[14] غَثْران عند الأملح وشعيب قُرة عند بلاد الضُّرْم"[15]. ويلاحظ أنَّ حمزة هنا يشير إلى القسم الشرقي من وادي غثران الذي يصبّ في وادي رنية، ولكن يبدو أنه وقع في خطأ؛ حيث إنَّ كلا الشعيبين أو الواديين (البحرة وغثران) يقعان معاً في نفس الجهة الشمالية من وادي رنية، ليس هذا فحسب؛ بل إنَّهما يلتقيان معاً –بعد الأملح– ليفيضا معاً في وادي رنية قرب قرية الجُرْثُمِيّة عند سفح جبال الكَوْر/ المجامعة (خريطة 3).

ويحاذي وادي غثران –البالغ طوله حوالي 32كم[16]– مجرى وادي رنية الواقع إلى الجنوب منه، مع وجود تعرجات وانحناءات عديدة. ويبلغ ارتفاع مجرى الوادي عن سطح البحر –استناداً إلى خرائط

جوجل– عند منبعه (غرباً) حوالي 990 متراً، وعند مصبّه في وادي رنية (شرقاً) حوالي 940 متراً. ويفيض في الوادي أيضاً عددٌ من الشِعاب التي تمثل روافداً لتزويده بالمياه من أهمها شعيب نجلة، وشعيب السمرية، وشعيب السليم، وشعيب السايلة[17]. ولعل ما يمكن لفت الانتباه إليه هو أنَّ مياهَ وادي غثران نفسها تمثل الفائضَ من مياه وادي رنية عند المفجر غرباً (خريطة 4).

وعلى أية حال فإنَّ وادي غَثْران، مع عدم وجود أية شواهد على استيطانه في الوقت الحالي[18]، إلا أنه يمثل جزءاً من أراضي قبيلة سبيع؛ باعتبار أنَّ أوديةَ سبيع هما وادي الخرمة ووادي رنية في عالية نجد الجنوبية[19]؛ بل إنَّ "فؤاد حمزة" يشير إلى وجوب تسمية وادي رنية باسم وادي سبيع لأنَّه ملكٌ لهم من منبعه في بلاد غامد إلى مصبِّه في رغْوة[20]، على حين أنّ الوادي المعروف باسم وادي سبيع هو القسم الأخير من امتداد وادي تربة بعد دخوله في حدود بلاد سبيع[21].

جيولوجية وادي غثران:

يمثل وادي غثران من حيث طبيعته الجيولوجية جزءاً من حوض وادي رنية (خريطة 5) الذي يلي حوضَ بيشة باتجاه الشمال الغربي حتى حرتي البقوم ونواصف[22] وعروق سبيع، وتبلغ مساحته نحو أحد عشر ألف كيلاً مربعاً[23]. وهذه المنطقة الواقعة في شرق جبال الحجاز الجنوبي (السراة) تعتبر من مناطق الحرّات البركانية، كما أنها تعتبر جزءاً من الدرع العربي الذي يمثل استمراراً للدرع النوبي الإفريقي، وتتكون من صخور نارية بلورية تعود إلى ما قبل الكمبري. وقد تعرضت صخور هذا الدرع الرسوبية والبركانية للتحول والطيّ عندما كانت في الأعماق نتيجة تعرضها لدرجات حرارة وضغط عاليين، كما تداخلت ضمن الدرع العربي محقونات من الصخور النارية الباطنية كالجرانيت والديوريت والجرانودوريت وغيرها[24]. وتشغل التضاريسُ البركانية مساحاتٍ شاسعة من منطقة مكة بصفة عامة وتتمثل في الحرّات (مثل حرة رهاط، وكشب، وحضن، ونواصف/ البقوم) ويمتد من هذه الأخيرة لسانين بازلتيين أحدهما في اتجاه مدينة ووادي رنية بطول 40كم، والآخر في اتجاه وادي تُرَبَة بطول 65كم، وتتميز بأنَّ سطحَها شديدُ الاستواء باستثناء بعض المخاريط البركانية، وتمتد التدفقات البازلتية خارج كتلتها المركزية تماماً[25].

وتكوّن أوديةُ السراة الشرقية والغربية شرايين للحياة في هذه السراة وفي سفوحها شرقاً وغرباً، وفي قلب السراة نفسها؛ حيث تتكون القرى والمزارع التي تمتد على جنبات الوادي من مجراه إلى مغيضه. وفي الجهات الشرقية فضلاً عمّا يحفّ بجوانب تلك الأودية من قرى ومزارع، فإنها تمدّ الواحات الواقعة في أعالي نجد في الغرب وفي الجنوب بالمياه بحيث تتكون الواحات الخصبة في تربة والخُرمة ورنية وبيشة وفي أسافل وادي تثليث حيث وادي الدواسر الممتد إلى الربع الخالي[26].

أعمال المسح والتنقيب الميداني:

مما يدعو للأسف الشديد فإنَّ محافظةَ رنية بصورة عامة لم يتمّ بها أية أعمال للتنقيب والحفر الأثري حتى الآن حسب معرفة الباحث في ضوء المنشور حالياً، علاوة على أنَّ المسحَ الميداني لم يشمل كافةَ

مناطقها[27]، واقتصر سابقاً خلال أعمال الموسم الأول لمسح المنطقة الجنوبية الغربية (1399هـ/ 1979م)، ضمن برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية الذي انطلق عام 1976م، على تسجيل عددٍ لا بأسَ به من المواقع (خريطة 6) ترجع لفترات زمنية ممتدة من عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الإسلامي، منها موقع مُهم للفنون الصخرية (أوثال 211– 69)، وموقع آخر (211– 46) يضمّ نقوشاً كتابية متنوعة[28]. ولعل تلك الإشارة الغامضة الواردة في ذلك التقرير لأحد الأودية يُقصد بها وادي غثران؛ ففي أثناء الحديث عن بعض أدوات العصر الحجري الحديث المكتشفة يذكر كاتبو التقرير أنهم وجدوا مثيلاتها على أطراف أحد حقول الحمم يُدعى "خشم شهيل Khashm Shayil" جنوبي رنية وهو يُشكّل جزءاً من حرّة نواصيف الضخمة، وتطل هذه الحافة الحممية/البركانية على **وادٍ كبير** يصبّ في وادي رنية، الأمر الذي يشير إلى أنَّ لهذه المنطقة تاريخ حافل، وقد عضّد ذلك العثور على أدوات حجرية من فترة ما بعد العصر الحجري الحديث مثل السواطير والمكاشط والرقائق المُعاد شحذها في موقعي (211– 77، 78)[29]. ويُرجح الباحثُ أنّ الوادي الكبير المشار إليه هو وادي غثران والذي يُطل عليه من الناحية الجنوبية جبل/خشم الشايل (لوحة 7) وليس شهيل كما ورد بالترجمة العربية للتقرير، عند المفجر الذي يمثل نقطة التقائه أو بصورة أكثر دقة انبثاقه من وادي رنية.

أما التقرير المبدئي لأعمال مسح الموسم الخامس للرسوم والنقوش الصخرية (الطائف/ الباحة) عام 1410هـ، الذي يمثل أيضاً أولى مواسم المسح في الجزء الجنوبي من المملكة، فيشير إلى أنَّ منطقةَ رنية غنيةٌ بآثارها ومناجمها، إلا أنَّها فقيرةٌ من حيث رسومها وفنونها الصخرية، وقد أمكن تسجيلَ أربعة مواقع بها في الجهة الشمالية والغربية، وهي [القنعية، وواردات، والحمامة، ووثال]، سُجِّل فيها عددٌ من الفنون والكتابات الصخرية (21 آدمي، 3 أبقار، 27 جمل، 48 حيوانات أخرى مختلفة، نقشان ثموديان، ستة نقوش كوفية، نقش مسند جنوبي). ولعل القولَ بأنَّ رنية فقيرة في فنونها الصخرية يجانبه الصواب، فمن خلال زيارة شخصية لكاتب هذا البحث –برفقة أ. سعد بن هميل– في عدة مواقع بالمحافظة تبيَّن مدى ثرائها بالآثار ولا سيما تلك التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ وأهمها المنشآت الحجرية والفنون الصخرية. ويبدو أنَّ الظروفَ المناخية والطبوغرافية التي واجهها القائمون بهذا المسح الميداني، علاوة على تخوّف أهالي المنطقة من مساعدتهم كانت السبب الرئيس في إعاقة الفريق عن تحقيق إنجاز كبير[30]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ مثل هذه الأسباب –وخاصة الأخير منها– أصبحت غير مقبولة في ظلّ تلك النهضة والرؤية الحالية للمملكة العربية السعودية وانتشار الوعي الأثري بين أبنائها الذين أصبحوا عيناً دائمة اليقظة للإرشاد وإبلاغ الجهات المسئولة عمَّا يكتشفونه من مواقع أو لقى أثرية، وإنْ كان هذا لا ينفي وجود بعض المخربين الذين يعبثون ويشوّهون تراث أجدادهم دون إدراك لقيمته الكبيرة.

لم يتضمن مؤلَف آثار منطقة مكة المكرمة ألبتة أية إشارة لموقع من مواقع محافظة رنية الأثرية أو فنونها وكتاباتها الصخرية قبل الإسلام[31]، والأمر نفسه ينطبق بطبيعة الحال على مواقع وادي غثران.

يتبيَّن مما سبق أنَّ أعمالَ المسح والتنقيب الميداني –في ضوء التقارير والأعمال البحثية المنشورة– لم تصلْ لا من قريب ولا بعيد إلى دراسة الآثار الموجودة بوادي غثران ومنها الفنون والكتابات الصخرية، ومن ثمَّ تأتي هذه الدراسة لمحاولة تقديم بعض التفاصيل اللغوية والجغرافية والطبوغرافية والتاريخية– الأثرية عنه، لتكون بمثابة حجرٍ يُحرّك الماء الراكد أو لَبِنَةٍ أولى ودافع قوي لإجراء مسح شامل ودراسات مستقبلية للوادي ومناطقه المجاورة، وبالمثل في جميع مواقع محافظة رنية.

الفنون الصخرية في وادي غثران:

الفنون والكتابات الصخرية في رنية وضواحيها بصفة عامة –شأنها شأن المواقع الأخرى بمنطقة مكة المكرمة– غير واضحة وضوحاً تاماً؛ ويرجع ذلك إلى طبيعة الصخور فهي في معظمها من صخور الجرانيت ذات اللون الغامق في مناطق الحرّات والتي تمتاز بعدم تماسكها وكذلك بالسطوح المخربشة، كما ينتمي بعضها إلى نوع الأندسيت والفرانو أندسيت وهي صخور قاسية ذات لون بني داكن، وجميعها أمور يجد معها الفنان أو الكاتب صعوبة في نقش وحزّ أعماله الفنية والكتابية. كما أنَّ فنونَ رنية تتشابه مع فنون منطقة مكة في فتراتها الزمنية المتعددة والتي تمتد منذ العصر الحجري الحديث وحتى بعد ظهور الإسلام، وبينهما تلك الفنون التي دُوِّنت بجانبها كتابات بالقلم الثمودي. وتتشابه في فنونها الصخرية المبكرة مع تلك الموجودة في عدة مناطق أخرى بالمملكة مثل بئر حِمى بمنطقة نجران، وجُبّة بمنطقة حائل[32].

ويمكن القول أنَّ كثيراً من فنونَ وادي غثران، التي تتشابه في خصائصها مع فنون منطقة مكة المكرمة وغيرها من المناطق الأخرى، تنتمي أو تندرج تحت فئة المواقع الصغيرة التي لا يتجاوز عددُ رسومها أو نقوشها الصخرية أصابعَ اليد الواحدة على كل كتلة صخرية؛ لنفس الأسباب المذكورة أعلاه. ويبلغ عددُ المواقع التي عُثِر بها على فنون أو كتابات صخرية في الجزء الذي قام بمسحه الأستاذ سعد بن هميل سيراً على الأقدام أو بسيارته حتى الآن سبعة وعشرين موقعاً (خريطة 8 أ، ب) على جانبي الوادي (اثنا عشر موقعاً في الجانب الجنوبي للوادي هي: 1 و2 و4 و5 و6 و7 و12 و15 و17 و25 و26 و27، وخمسة عشر موقعاً في الجهة الشمالية هي: 3 و8 و9 و10 و11 و13 و14 و16 و18 و19 و20 و21 و22 و23 و24) بداية من المفجر غرباً وحتى مسافة قريبة من طريق الإسفلت رنية– تربة (رقم 4007) شرقاً. ومما يؤسف له أنَّ خلال زيارتي لمحافظة رنية لم أتمكن من الوصول إلى جميع تلك المواقع نظراً لامتلاء الوادي بالمياه. وفيما يأتي وصف لمجموعة مختارة من الفنون الصخرية المكتشفة في عدة مواقع مختلفة بالوادي[33]، استناداً إلى الصور التي سبق والتقطها "أ. سعد" وأرسلها لي مشكوراً لدراستها؛ إذ أنَّ جميعَ الأعمال الفنية الموجودة في المواقع السبعة وعشرين تتطلب دراسةً أكثر تفصيلاً وتحليلاً ومقارنة، يصعُب جعلها في بحث واحد يُنشر في مجلة علمية لها قواعدها في عدد محدد من الصفحات.

غثران 1: يقع على الناحية الجنوبية للوادي من جهة المفجر غرباً، وكُشِف عن عدد قليل من الفنون والكتابات الصخرية محزوزة على بضعة صخور منتشرة فيه (لوحة 2). تحتوي الصخرة الأولى منها على

عدد من العناصر الفنية [آدمية وحيوانية]، بعضها واضح والبعض الآخر لا يظهر بصورة كاملة. استخدم الفنان طريقة النقر في تنفيذ جميع هذه الأشكال؛ إذ قام بعمل الإطار الخارجي لها بواسطة أداة حادة ثم تفريغ كامل الأجزاء الداخلية لها. ويبدو أنَّ الطَرْقَ لم يكن قوياً، بل خفيفاً؛ فسطحية التنفيذ غير عميقة. ويظهر من خلال لون طبقة البلى (غشاء العتق)، وكذلك أسلوب وتقنية التنفيذ أنّ جميع العناصر قد نُفِّذَت خلال مرحلة زمنية واحدة وبيد الفنان نفسه.

يتوسط اللوحة –تقريباً– وعلٌ بمنظور جانبي يتجه ناحية اليمين بقرنين كبيرين مقوسين إلى الخلف حتى منتصف البدن، يبدو أنهما متصلان معاً عند نهايتهما. والرأس صغير غير واضح المعالم، ويتصل مع الرقبة متوسطة الطول والبدن المستطيل الممتلئ الذي ينتهي بذيل قصير يرتفع إلى الأعلى قليلاً. ويلاحظ أنَّ الفنان قد أجاد في تنفيذه بأسلوب جميل ومتناسق رغم إنه رُسم من بُعدين فقط، ويظهر ذلك بصورة واضحة من خلال الأطراف التي جاءت واحدة في الأمام وأخرى في الخلف. ويوجد إلى الخلف من الوعل السابق وبالأسفل قليلاً آدميٌ غير واضح الجنس (أقرب للرجل؟) بأسلوب تخطيطي وبمنظور أمامي. جاء الرأس دائرياً صغيراً دون ملامح واضحة، والبدن نحيف طويل، والذراعان طويلان مقوسان على وسط البدن بصورة شبه دائرية، أما الساقان فقد نُحتتا منفصلتين، كل منهما بحجم مقارب للبدن نفسه. أما في أعلى المشهد فيظهر أحد الثيران أو إحدى الأبقار/الجواميس بمنظور جانبي في اتجاه اليمين، والجزء الأمامي لا يظهر بصورة واضحة، وإنْ كان فيما يبدو يتمتع بقرون كبيرة منحنية إلى الأمام تشبه شكل حرف C. ويظهر البدن متناسقاً، وخط الظهر مستقيماً مع انحناءة خفيفة إلى الأسفل منتهياً بذيل طويل يتدلى إلى الأسفل. وفي الوقت الذي لا يتبين فيه تفاصيل الساقين الأماميتين، فإنَّ الساقين الخلفيتين قد دمجتا معاً في واحدة.

تحتوي صخرة ثانية على عنصرين فنيين، أحدهما (السفلي) غير واضح. أما العنصر الآخر فيمثل وعلاً متوسط الحجم (بارتفاع حوالي 25سم) برأسٍ بيضاوي صغير بدون تفاصيل للوجه، وقرنين طويلين مقوسين إلى الخلف حتى نهاية البدن، ويتصلان معاً عند نهايتيهما. والبدن الممتلئ مستطيل الشكل تقريباً وينتهي بذيل سميك ليس بالقصير يتدلى إلى الأسفل، والأطراف متساوية في الطول عبارة عن ساقين؛ واحدة أمامية وأخرى خلفية. ويظهر الوعلُ بمنظور جانبي ثنائي الأبعاد متجهاً ناحية اليسار. نفَّذ الفنانُ لوحتَه بأسلوب النقر ؛ حيث استخدم أداة حادة لعمل الحدود الخارجية لعناصره الفنية ثم قام بتفريغ الأجزاء الداخلية كلها.

دوّنَت على صخرة ثالثة بعض السطور بالكتابة العربية القديمة بالخط الثمودي، وفي الجهة المقابلة من هذه الصخرة حُزت رسوم حيوانية غير واضحة لذوات الأربع منها أسد، علاوة على ما يبدو شكلاً آدمياً رافعاً يديه لأعلى. وحُفرت على عدة صخور أخرى مجموعة لحيوانات ربما تمثل كلاباً أو ثعالب.

غثران 2: يقع في الجهة الجنوبية للوادي وعلى مسافة مئتي وخمسين متراً من الموقع السابق شرقاً، وعُثِر على عددٍ من الفنون الصخرية الآدمية والحيوانية على بضعة صخور بالموقع (لوحة 3)؛ إذ نَحَتَ الفنانُ على واحدة منها شكلين آدمي وحيواني، علاوة على شكل ثالث (خلف الهيئة الحيوانية) يصعب تحديد

طبيعته. جاء تنفيذ هذه اللوحة بأسلوب النقر لتحديد الإطار الخارجي للأشكال المرسومة ثم تفريغ كامل أجزائها الداخلية. يقف الآدمي من منظور أمامي بجسد ممشوق القوام، ورأس دائري ليس به تفاصيل للوجه، ذي جذع طويل وساقين ممدودتين متباعدتين، وذراعين مثنيتين إلى الأسفل كما لو كانت اليسرى ممسكة بما يشبه ترساً دائرياً. وتبدو على الجسد بصفة عامة تعبيرات حركية، وقد أجاد الفنانُ في إخراج هذه الهيئة الآدمية رغم عدم تمثيل عناصر الوجه (العينان، الأنف، الفم، الأذنان).

نُحِتَ إلى جانب الشكل الآدمي وبحجم مماثل في الطول (25سم) هيئةٌ حيوانية لها ذيلٌ طويل يصعب الجزم بطبيعتها هل تمثل إحدى الأبقار أو الظباء التي تنتمي إلى فصيلة البقريات بطبيعتها، ويبدو أنَّ هذا الأخير هو الأقرب إلى الصحة. ومهما يكن الأمر فقد جاءت بمنظور جانبي ثنائي الأبعاد مع ضخامة وطول الذيل وكذلك الأطراف التي مُثِّلَت واحدة أمامية وأخرى خلفية.

وجاءت مجموعة من الهيئات الحيوانية على عدد من الصخور الأخرى بالموقع، في معظمها أبقار/ جواميس ذات قرون طويلة، إحداها رافعة رأسها وقرونها إلى الأعلى، ومن فوقها أخرى قرونها إلى الأمام بشكل حرف C وكلتاهما باتجاه اليمين. علاوة على ظبي أو وعل –على صخرة ثانية– ذي قرنين ملتصقين يصلان إلى منتصف الظهر، يتجه ناحية اليمين بدون تفاصيل واضحة لملامح الوجه، مع ذيل طويل جداً يبتعد عن الجزء الخلفي بصورة مبالغة، يُرجح كونه أحد الظباء، فالوعول معروفة بذيلها القصير. نُفِّذت تلك الهيئات بأسلوب مماثل لما سبق، وترجع فيما يبدو إلى نفس الفترة الزمنية. ويوجد على صخرة أخرى من فترة زمنية متأخرة كثيراً عن سابقاتها رسماً بأسلوب الكشط/ الحك الكلي لناقة رافعة ذيلها لأعلى.

غثران 3: تجسدت براعة الفنان العربي القديم على عدة واجهات صخرية بهذا الموقع الموجود في الجهة الشمالية للوادي؛ إذ نجح في تصوير نوعين من الحيوانات (الثور والظبي) بنمطين فنيين مختلفين، مستخدماً نفس الأسلوب في الموقعين السابقين، وهو النقر غير المباشر، وتحديد الإطار الخارجي للشكل بواسطة أداة حادة ثم تفريغ كامل الجزء الداخلي (لوحة 4). تتضمن إحدى صخوره عنصراً فنياً واحداً يمثل ثوراً (طوله حوالي 25سم)، بمنظور جانبي ثنائي الأبعاد يتجه ناحية اليسار. وقد أجاد النحات في تصويره بخطوط لينة مرنة نسبياً، تتجلى بصورة واضحة في منطقة خط الظهر والرقبة مع الرأس وكذلك في منطقة البطن مع الأقدام. ويظهر الثور ببدن أقرب للشكل المستطيل ينتهي بذيل متوسط الطول، ورأس بيضاوي طويل، وقرنين طويلين مقوسين بارزين نحو الأمام يشبهان حرف C، ويشكلان مع مقدمة الرأس (الوجه) ما يشبه حرف E بزوايا لينة ليست حادة. أما الأطراف فقد جاءت واحدة أمامية وأخرى خلفية، والأولى أطول من الثانية بصورة واضحة. ونُحتت على صخرة ثانية إحدى الأبقار بالنمط الذي يتميز بقرونه المنحنية أو الموجَّهَة ناحية الأمام، وجاءت الأطراف ممثلة في اثنتين فقط. وجُسِّدَت على صخرة ثالثة مها أو وعلٌ وكلاهما نوع من أنواع الظباء بقرنين مقوسين بطول الرقبة وحتى بداية الجسد، وهو جسد رشيق طويل يبدو أقل حجماً عند الساقين الأماميتين. ويوجد على صخرة رابعة هيئة وعل بقرون ملتفة إلى الخلف حتى نهاية

الساقين الأماميتين المنفصلتين عن بعضهما، ومما يؤسف له أنَّ النحتَ قد تعرض للتشويه في فترة تالية، مما أخفى بعض التفاصيل وخاصة في النصف الخلفي من الجسم.

غثران 4: يقع في الجهة الجنوبية للوادي على مسافة تزيد قليلاً عن نصف كيلاً من الموقع غثران 2 (حوالي 575م)، وتمثلت الأعمال الفنية المكتشفة في صخرتين منفصلتين على كل منهما حيوانين (كلب ووعل) كما لو أنَّ الفنان أراد تصوير مشهد مطاردة بينهما، وتبدو بعض الاختلافات الفنية في العملين رغم أنهما منفذان بنفس الأسلوب النقر والتفريغ الكلي لكامل أجزاء الجسم باستثناء منطقة صغيرة في بطن الكلب الثاني (لوحة 5). وتظهر براعة الفنان على الصخرة الثانية إذ أجاد في تصوير حركة الساقين الأماميتين للكلب وكذلك الوعل الذي أظهر أرجله الأربعة مع قرونه المقوسة التي تصل إلى منتصف الظهر بنتوءاتها حلقاتها البارزة)، على عكس مشهد الصخرة الأولى والتي بالغ صاحبها في إظهار قرون الوعل حتى نهاية الجسم، مع دمج الساقين الأماميتين في واحدة وتكرار الأمر في الخلفيتين.

غثران 5 و6: يقعان في الجهة الجنوبية أيضاً على بُعد خمسة وسبعين متراً من الموقع السابق، والمسافة بينهما حوالي مئة متر، ويتميزان بفنونهما القليلة والبسيطة في نحتها (لوحة 6)، مع تفاوت فترتها الزمنية الواضح من خلال غشاء العتق (طبقة التقادم Patina). واستخدم النحات ثلاثة أساليب فنية مختلفة؛ إذ جاء الوعل الأول بأسلوب إطاري لجميع أجزاء الجسد، بينما الوعل الثاني وكذلك الثور أو البقرة ذات القرون المعقوفة للأمام بأسلوب النقر أو الكشط الكلي لأجزاء الجسم، وهي أقدم تلك المنحوتات زمنياً، علاوة على استخدام النقر الجزئي لطائر النعام الذي يبدو أنَّه أحدث تلك الأعمال من الناحية الزمنية.

غثران 7 و8: يقع أولهما في الناحية الجنوبية ويقع على مسافة ثلاثة وعشرين متراً تقريباً من الموقع السابق، وتضمّ بعضُ صخوره نحتاً بالحكّ الكلي لثيران وأبقار ذات قرون كبيرة بصورة مبالغة ولا سيما عند الثور الذي أظهر الفنان عضوه التناسلي، وفي الوقت الذي جاءت فيه أطراف البقرة الأمامية مدمجة معاً وكذلك الخلفية، كان الأمر مختلفاً بالنسبة للثور؛ إذ عبَّر عن الأطراف الأربعة بفصل كل ساقين من نهايتيهما لمسافة قصيرة. وكان الحجم الذي نُحتت به البقرة أكبر من حجم الثور (بنسبة 2: 3)، وكلاهما أقل من 40سم. أما الموقع الآخر فيوجد في الجهة الشمالية للوادي ونُحتت على إحدى صخوره رسمة لأحد الوعول ذي لحية طويلة من أسفل الذقن، نَفَّذها الفنانُ بالأسلوب السائد وهو النحت الكلي لجميع أجزاء جسم الحيوان، ومع أنَّه نجح في الخروج بالإطار الكلي بصورة ناجحة ودقيقة، إلا أنه أخطأ في تنفيذ قرن ثالث للوعل، والقرون الثلاثة تلتف نحو الخلف وتصل إلى نهاية الرقبة وفوق منتصف الساقين الأماميتين المدمجتين معاً شأن الخلفيتين، وجاءت الأخيرتين بحجم يكاد يكون مضاعف (لوحة 7).

غثران 10: يقع على الجانب الشمالي، على مسافة حوالي مئة متر من الموقع السابق (غثران 8)، وفيما بينهما يوجد موقع آخر (غثران 9). ويعتبر أحد المواقع المهمة بالوادي؛ نظراً لما يحتويه من عدة لوحات صخرية تتباين في عناصرها الفنية وفي فتراتها الزمنية (لوحة 8)، فتعود أقدمها إلى العصر الحجري الحديث

ممثلة في البقرة ذات القرون الكبيرة المنفرجة بصورة تقترب من الاستقامة، والغريب أنها جاءت بقرنين طويلين على كل جانب، كان القرنان في الجهة العلوية قريبين من بعضهما بدرجة كبيرة على عكس الجهة السفلية فقد ابتعدا كثيراً وجاء بينهما ما يمثل الأذن، بينما يعود أحدثها لما بعد استئناس الإبل وركوبها. ونُفِّذَت جميع العناصر الفنية على صخور الموقع المختلفة بنفس الأسلوب وهو النقر الكلي أو الحك الكلي لجميع أجزاء الجسم. احتوت إحدى صخور الموقع على رسمتين تبدوان من خلال طبقة العتق وأسلوب التنفيذ أنهما ترجعان إلى نفس الفترة الزمنية، الرسمة الأولى لوعلٍ مكتمل التنفيذ بقرنين منفصلين يلتفان إلى الخلف حتى ثلثي الجسم تقريباً مع ذيل متوسط مستقيم، ورأس غير واضح الشكل والملامح، وجاءت الأطراف ممثلة بخط سميك ليعبر عن كل ساقين معاً. أما الرسمة الثانية فتبدو كما لو كانت محاولة أولى للفنان لنحت الوعل نفسه، ولكنها لم تكتمل لسبب ما عند التنفيذ.

ووجِدَت مجموعة من الإبل العربية ذات السنام الواحد على صخرتين منفصلتين، على كل منهما ثلاثة جمال واضحة على الأقل، مع احتمال وجود عدد آخر غير واضح. ويظهر على أحدها راكباً أقرب ما يكون امرأة، وجاءت جميع الأطراف الأربعة للإبل ممثلة في ساقين فقط. ويبدو أنَّ فناناً واحداً لكل صخرة رسم جميع عناصرها الفنية، بالأسلوب ذاته، ولكن بأحجام متفاوتة. وفي الوقت الذي تتجه فيه الجمال الثلاثة جهة اليسار على إحدى الصخرتين، فإنَّ أحدَها (عليه صاحبه) يتجه يساراً واثنين يتجهان ناحية اليمين على الصخرة الأخرى.

وظهر على ثلاثة صخور منفصلة متجاورة، ربما كانت في الأصل كتلة صخرية واحدة انفصلت لاحقاً، بدرجة باهتة غير واضحة مجموعة من الحيوانات بعضها غير محدد وبعضها الآخر يمثل وعولاً وماعزاً جبلياً وأسوداً مع ما قد يكون خنزيراً برياً وكلاباً، وجميعها منفذة بأسلوب الحكّ الكلي. ويأتي أكثر هذه العناصر الفنية وضوحاً على الصخرة اليمنى؛ إذ يظهر وعلان أحدهما بحجم أكبر ومن خلفه ويلتصق به عند جزئه الخلفي آخر بحجم أقل، وكلاهما كما لو كانا يتواريان ويختبئان خلف بعضهما من هجوم أسد يتسلق لأعلى كأنه يصعد إليهما لمهاجمتهما وافتراسهما. ويتميز الأسد بأنه كبير الحجم ذو ذيل طويل يرتفع في الهواء، وأذنين قصيرتين، ومنطقة رقبة غليظة تُعبر عن لبدة (شعر كثيف) الأسد الذكر، مع عدم وجود ملامح واضحة لوجهه أو لوجهي الوعلين.

ويوجد على صخرة أخرى بالموقع تعرضت لبعض التشققات والصدوع، وبالتقنية ذاتها المستخدمة في التنفيذ، عدة حيوانات من الفصيلة الكلبية، منها هيئتان واضحتان تمَّ نحتهما بحجم متقارب جداً، ربما تمثلان كلبين أو ذئبين أو ثعلبين لهما رقبة طويلة وآذان متوسطة الطول وذيل كثيف الشعر. وجاءت الأطراف الأمامية والخلفية شأن معظم العناصر الفنية المنتشرة بالوادي كل اثنتين مندمجتين معاً.

غثران 11 و12: يقع أولهما على الجانب الشمالي على مسافة مئتي وثمانين متراً من الموقع السابق. وعُثر فوق سطح إحدى صخوره على هيئة حيوانية لأسد يتجه ناحية اليسار بَالغَ النحاتُ في طول ذيله، بصورة

تقترب أو تتجاوز طول جسمه كاملاً (حوالي 20سم). واستخدم الحكَّ/الكشط الكلي لجميع أجزاء الحيوان، ولا تظهر ملامح للوجه، كما أنَّ أطرافَه الأمامية وكذلك الخلفية، قد جُمعت كل اثنتين منهما معاً. أما الموقع الثاني عشر فيوجد في الناحية الجنوبية وينتشر على عدة صخور به مجموعة متنوعة من الهيئات الحيوانية والآدمية؛ إذ نُحتت على صخرتين منفصلتين ثلاث هيئات آدمية (اثنتان + واحدة) بنفس الشكل والحجم تقريباً، بأسلوب تخطيطي أقرب إلى العودي بتقنية الكشط الكلي لجميع الأجزاء. ولا توجد ملامح للوجه (آذان، أنف، عيون، فم)، والذراعان مرفوعان للأعلى يشكلان مع الرأس ما يشبه حرف E مقلوباً إلى أعلى، والساقان متباعدتان، ولإحدى الهيئات الثلاث ما يمثل القدمين كل واحدة في اتجاه مختلف (يميناً ويساراً).

ويوجد على صخرة ثانية هيئتا كلب تتجهان ناحية اليمين، مع احتمال أنْ يكون أحدهما كلباً والآخر وعلاً في حالة مطاردة، وهما منفذان بالكشط/ الحكّ الكلي بحجم متقارب وشكل متشابه، وإنْ كان رأس أحدهما غير واضح بصورة جلية. وقد جُسدت كل ساقين معاً في واحدة، وجاء الذيل قصيراً مرفوعاً إلى أعلى. وصوِّر بالأسلوب نفسه على لوحة صخرية ثالثة كلبٌ يتجه ناحية اليسار، ويرفع ذيله المعقوف ناحية الرأس قليلاً لأعلى، ومن أمامه خطان متعرجان قليلاً غير معروف هويتهما، ومن أسفلهما العنصر الرئيس الذي يتوسط اللوحة، عبارة عن وعل أكبر حجماً من العناصر الأخرى، ويتجه ناحية اليمين، وله قرنان كبيران يلتفان لأعلى ناحية الخلف حتى منتصف الظهر أو أبعد قليلاً، وهما منفصلان غير متشابكين. ولا توجد ملامح للوجه، مع وجود ذيل قصير على مستوى الظهر تقريباً، والجزء السفلي من الجسد ومعه الأقدام غير واضح بسبب المبالغة في الكشط. ويوجد في أسفل اللوحة هيئة آدمية بدون ملامح للوجه تلتفت ناحية اليسار، وهي أقل حجماً من غيرها، ونُفِّذت بأسلوب تخطيطي أقرب للعودي. يمسك الشخص بيده اليمنى ما يشبه الفأس أو عصا الرماية (البوميرينج)، بينما يضع يده اليسرى بصورة نصف دائرية عند الخصر. والساقان طويلان ومتباعدتان، وكل منهما تشبه الجسد.

وكُشِط على صخرة رابعة عدد من الجمال، جاء بعضها بأطرافه الأربعة، في حين جاء البعض الآخر بطرفين فقط (واحدة خلفية وأخرى أمامية)، ونُفذت بالأسلوب العودي ما عدا أحدها تم تنفيذه بالأسلوب التخطيطي الإطاري لمنطقة الجسم. وجاء في منتصف اللوحة من أعلى هيئة غريبة غير واضحة المعالم، ولكنها أقرب لتصوير هيئة آدمية تفرد كل من ذراعيها وساقيها، وهو نمط عُرف في الفنون الصخرية في عدد من المناطق المختلفة. ويظهر من أسفلها حلقة دائرية (O) ربما تمثل وسماً قبلياً. وعلى صخرة خامسة نُحتت بالكشط/ الحكّ الكلي هيئة أخرى لناقة أو جمل، بالغ الفنان في نحت رقبته فظهرت أكبر من جسمه، كما أظهر السنام بصورة كبيرة ضخمة وكذلك الذيل الذي يرتفع للأعلى. أما الأطراف فعبَّر عن كل اثنيتن بواحدة فقط، وظهرت الأمامية أكبر من الخلفية، ولا تتضح معالم الرأس والأذنين.

ونُقِشّت على صخرة سادسة هيئة حيوانية لإحدى الأبقار بالأسلوب التخطيطي الإطاري للجسد، وبخط سميك دون تفريغ أو كشط الأجزاء الداخلية للبدن الذي جاء مكوناً مع الأطراف ما يشبه هرمين مقلوبين

يلتصقان معاً، وتمثل قاعدتهما العمود الفقري لظهر الحيوان، وجاءت القرون بنفس النمط المعروف في فترة العصر الحجري الحديث، فهي عبارة عن قرنين طويلين متجهين نحو الأمام يشكلان معاً حرف c، ومع الرأس حرف E. وعبَّر النحات عن الأطراف الأمامية والخلفية برأس المثلث المقلوب. ويقف في المنطقة المحصورة بين قرني البقرة هيئة آدمية لرجل يتمنطق على خصره فيما يبدو سيفاً طويلاً، بينما جاءت يداه تلتفان حول الوسط لتشكلان معاً دائرة كبيرة، وهو مُنفَّذ بالحك الكلي الأقرب للعودي (لوحة 9).

غثران 13 و14: يقعان في الناحية الشمالية للوادي، والمسافة بينهما مئة وثلاثين متراً، وتحتوي إحدى صخور أولهما والتي أصابها الصدع والكسر على مجموعة من الحيوانات المُنفذَّة بأسلوب الحكّ/ الكشط الكلي لجميع أجزاء البدن والتي تتشابه في شكلها الفني. بعضها غير ظاهر، والبعض الآخر واضح كلياً منها عدة وعول وأبقار من النوع المعروف والمنتشر بالوادي. يظهر أحد تلك الوعول بجسد طويل أقرب للمستطيل، وقرون معقوفة للخلف بالغ النحات في تصويرها فجاءت بطول الجسم كله، والقرنان منفصلان عن بعضهما البعض باستثناء المنطقة القريبة من الرأس، وهذا الأخير غير واضح الملامح؛ فلا وجود للأذنين أو العينين أو الفم، بالإضافة إلى عدم وجود الذيل. أما الأطراف الأربعة فقد مثَّلها مندمجة كل اثنتين في واحدة، وتتميز بأنها طويلة نسبياً. ويوجد على نفس المستوى تقريباً من الجزء السفلي لتلك الكتلة الصخرية، وفي أقصى جهة اليسار التي يتجه إليها الوعل، إحدى الأبقار ذات القرون الكبيرة المنفرجة والمتجهة للأمام مع انثناء طرفيها للخلف. وتتجه البقرة إلى اليمين مع رفع رقبتها قليلاً لأعلى، ويتدلى ذيلها إلى أسفل، وجاءت الأطراف الأربعة مندمجة في اثنتين تشكلان مع منطقة البطن بينهما شكلاً أقرب إلى نصف الدائرة.

تضم صخور الموقع الآخر عدداً من الهيئات الحيوانية التي استخدم الفنانُ أسلوبَ الحكَّ/ الكشط الكلي في تنفيذها أيضاً، منها مها عربي يتميز بقرونه الطويلة المقوسة إلى الخلف والمتباعدة عن بعضها، والانحناءة التي تتوسط الظهر، والذيل المتدلي إلى الخلف، علاوة على ضخامة الجزء الأمامي والخلفي للجسم وهو تعبير حقيقي لما يتمتع به هذا الحيوان من قوة في البنية الجسمانية. ويوجد أحد الثيران على صخرة ثانية متجهاً برأسه ذات الشكل المستطيل ناحية اليمين، يتميز بقرنيه الطويلين جداً والمرفوعين إلى أعلى، ومن خلفهما ما يمثل الأذن، والذيل الطويل الذي يتجه إلى أعلى كما لو كان في حالة فزع. ويدل وضع الجسد والسيقان الأمامية التي تبدو كما لو كان صاعداً إلى أعلى أنه في حالة هروب. ولعل وجودَ ما يمثل هيئتي كلب خلف الثور متجهين ناحية اليمين أيضاً، أحدهما في القسم العلوي والآخر من أسفل مؤخرته قليلاً، قد يفسر وضعية الثور وهروبه من الكلاب التي تطارده (لوحة 10).

غثران 15 و16: يقع أولهما في الناحية الجنوبية للوادي في مقابل غثران 14 تقريباً، وتضم إحدى صخوره ثلاثة عناصر فنية على الأقل نُفِذَّت بالحكّ الكلي، أبرزها في المنتصف إحدى الأبقار ذات القرنين المميزين المتجهين مع الرأس إلى أعلى ثم يلتفان مرة أخرى نحو الداخل، فيظهران كشكلين بيضاويين غير منغلقين

فوق الرأس. وقد ظهرت الرأس مع الرقبة بصورة غير متناسقة مع حجم البدن. ونُحتت الساقان الأماميتان –وبالمثل الخلفيتان– مندمجتين معاً، وهما نحيفتان إلى حدٍّ ما. ويظهر خلف البقرة عنصرٌ آخر غير محدد المعالم، بينما أمامها ما قد يمثل هيئة آدمية واقفة برأس دائري دون ملامح للوجه، والذراعان يمتدان لأسفل ويشكلان من الكتفين وحتى حول الخصر دائرة، والساقان غير واضحتين. وتحوي صخرة ثانية مشهد مطاردة بين هيئتين حيوانيتين؛ إذ يظهر أسد برأس كبير وذيل طويل يهاجم وعلاً بحجم كبير مقارب لحجم الأسد، وذيل قصير أعلى من مستوى الظهر قليلاً، وقرنين مندمجين معاً مقوسين نحو الخلف على مسافة بعيدة عن مستوى الظهر. ويتشابه الشكلان في أنَّ النحات قد جعل الجزءَ الأمامي من بدنهما أضخم قليلاً من الجزء الخلفي. وجاءت أطرافهما مندمجة شأن كثير من الهيئات الحيوانية المُنفَّذة على صخور الوادي.

يقع غثران 16 في الناحية الشمالية على مسافة تزيد عن النصف كيلومتر من غثران 14 (550م)، وتضم إحدى صخوره هيئتين حيوانيتين، اتبع النحات أسلوب الحكّ/ الكشط الكلي في تنفيذهما. تشغل إحداهما مساحة كبيرة وتتجه ناحية اليسار، وتعرَّضت الصخرة للكسر عند منطقة الرأس، التي يخرج منها قرنان طويلان للغاية منفصلان عن بعضهما يتجهان بانسيابية حتى قرب نهاية البدن، ويتدلى خلف المؤخرة ذيل طويل نسبياً قد يُرجَّح معه جنباً إلى جنب مع الرقبة والبدن الطويلين إمكانية القول بكون تلك الهيئة الحيوانية مها أقرب منها إلى الوعل. وجاءت الساقان الخلفيتان منفصلتين عن بعضهما البعض، على عكس ما يبدو في الأماميتين. أما الهيئة الأخرى فمع عدم وضوح منطقة الرأس والمؤخرة، فلا يمكن الجزم بتحديدها، وربما تكون كلباً أو أسداً يهاجم المها (لوحة 11).

غثران 17: يقع في الجهة الجنوبية من الوادي، وتضم صخوره أنواعاً متباينة زمنياً (منذ العصر الحجري الحديث وحتى العصر الإسلامي) من الفنون الصخرية لهيئات آدمية وحيوانية (لوحة 12)، وتشمل الأخيرة الأبقار والوعول والجمال والكلاب، تجمع في تنفيذها الأسلوب العودي والإطاري التخطيطي والكشط/ الحكّ الكلي. ويتمثل أحدث تلك اللوحات فيما تشمله إحدى الصخور من هيئتين آدميتين ممثلتين بالأسلوب العودي ترفعان أذرعهما إلى الأعلى، ويشكل الذراعان مع الرأس ما يشبه حرف E متجهاً لأعلى، وفي أحدهما يشكل الساقان مع ما قد يمثل العضو التناسلي للذكر حرفاً مشابهاً متجهاً لأسفل. ويظهر بين الهيئتين كلبٌ يرفع ذيله لأعلى، ورأسه تتجه ناحية اليمين والفم يبدو مفتوحاً كما لو كان في حالة هجوم، وقد نُفِّذ بالأسلوب الإطاري التخطيطي. ويظهر إلى جانب أحد الأشخاص وفوق الآخر جملان بالأسلوب ذاته، أحدهما يرفع ذيله، والآخر يتدلى ذيله إلى أسفل، وهما يتجهان نحو اليمين. وقد عبَّر النحاتُ عن الأطراف الأربعة للهيئات الحيوانية الثلاث بخطوط منفصلة يمثل كل منها إحدى السيقان. ويحتمل وجود هيئة لجمل ثالث بحجم صغير غير مكتمل نُفِّذ بالحك الكلي أسفل السيقان الخلفية للجمل الثاني.

وظهرت على صخرة ثانية مجموع من الأعمال الفنية التي يصعب تحديدها بصورة دقيقة باستثناء هيئة مميَّزَة لناقة ترفع ذيلها إلى أعلى، ويقترب بدنها من شكل المثلث، وأعلى السنام ما قد يكون هودجاً أو حملاً/ متاعاً مربوطاً بالحبال. وفي الوقت الذي جاء فيه الذيل سميكاً طويلاً، جاءت الرقبة قصيرة مع بروز ما يمثل الأذنين، كما عبَّر النحات عن السيقان بخطوط أربعة منفصلة. واستُخدِم الأسلوب التخطيطي الإطاري في التنفيذ، دون تفريغ أو كشط أجزاء البدن الداخلية.

ووجِد على صخرة ثالثة وبنفس الأسلوب الذي ظهر في غثران 10 هيئتان واضحتان –مع احتمالية وجود هيئة ثالثة– لحيوانين من الفصيلة الكلبية ربما (كلب، ثعلب، ذئب) يتجهان ناحية اليسار. وقد نُفِّذا بأسلوب الحكّ/ الكشط الكلي، وإظهار كل طرفين مندمجين معاً، وذيل سميك وطويل نسبياً يرتفع بمحاذاة الظهر أو أعلى قليلاً، وجاءت الرقبة طويلة وغليظة تقترب من نفس حجم البدن.

وظهر على عدة صخور أخرى مجموعة من الوعول، أحياناً وعل منفرد وأحياناً وعلان معاً، بأسلوب الحكّ/ الكشط الكلي. يتجه بعضها جهة اليمين والبعض الآخر جهة اليسار، كما جاءت سيقان بعضها بعددها الكامل (أربعة)، ودُمِجَت سيقان البعض الآخر كل اثنتين معاً كما هو شائع. والقرون منفصلة وطويلة ومعقوفة إلى الخلف، وتتجاوز أحياناً منتصف الظهر، باستثناء قرني وعلٍ وحيد ظهرا مستقيمين ومرفوعين لأعلى، إنْ صحَّ كونه وعلاً وليس مها بذيل طويل. ومن أمام هذا الوعل (المها؟) متوسطاً كلبين، رجلٌ يرفع ذراعيه إلى أعلى، ويباعد بين ساقيه.

وتتمثل أقدم اللوحات الصخرية في تلك الهيئة الحيوانية التي تصور إحدى الأبقار بقرنيها الطويلين المتجهين إلى الأمام بشكل حرف C ويكاد حجمهما يكون أكبر من بدنها الذي يحمله خطين سميكين يمثلان السيقان الأربعة، كل اثنين (الأمامية، والخلفية) معاً. وقد نُفِّذت بالكشط الكلي.

غثران 18: يقع على الجانب الشمالي للوادي، وتتضمن إحدى صخوره التي قسمتها التصدعات إلى قسمين كبيرين فوق بعضهما منظراً لآدمي ممسكاً أداة بين يديه في محاولة صيد مجموعة من الأبقار بمساعدة عدد من الكلاب. تظهر أربع بقرات ببدن يأخذ الشكل المستطيل، وبأحجام متفاوتة وبقرون قريبة الشكل وكبيرة تتجه نحو الأمام وبذيول طويلة، البقرتان في القسم العلوي للصخرة أكبر حجماً وأكثر وضوحاً، وتتجهان ناحية اليسار، وتتميز قرون إحداهما بالالتواء ناحية الخارج عند الطرفين. ويظهر أمام البقرة الأكبر حجماً وتتوسط المشهد أربعة كلاب متفاوتة الحجم، أكبرها يقف مباشرة أسفل رأس البقرة وقرونها، وهو أقرب المهاجمين لها، وأصغرها هو الذي نُحت في أقصى الركن العلوي من الصخرة، ترفع ثلاثة منها ذيولها لأعلى، بينما يتدلى ذيل الرابع لأسفل. ويبدو أنَّ هذا الترتيب في الحجم مقصود من الفنان كما لو كان لقطة/ صورة لمنظر طبيعي رُتِبَت عناصره من القريب للبعيد. تتجه البقرتان في القسم السفلي ناحية اليمين، ويظهر من خلفهما كلبٌ غير واضح بصورة جيدة. ويظهر كلبٌ سادس على صخرة أخرى أعلى هذين

القسمين، وهو متجه ناحية اليمين، وغير معروف هل وجوده مرتبط بمنظر الصيد أم لا. نُحِتَت جميعُ العناصر الفنية الآدمية والحيوانية بأسلوب الحكّ/ الكشط الكلي بدرجات عمق متفاوتة (لوحة 13).

غثران 21: يقع في الجهة الشمالية للوادي على مسافة خمسمائة وخمسة وثمانين متراً من الموقع السابق، ويوجد بينهما غثران 19، 20. وعُثِر فوق صخوره على نحتين بالكشط الكلي لحصانين طويلي الرقبة (لوحة 14)، يقود كل منهما صاحبه ممسكاً باللجام. يتميز الحصان الأول بأنه أكبر حجماً وسيقانه الخلفية أكثر غلظة وضخامة من الأمامية، ويرفع ذيله لأعلى معقوفاً نحو الظهر، ويمسك صاحبه مع اللجام بعصا التوجيه والقيادة، وتظهر حلقة دائرية خلف الراكب غير معروف ماهيتها. ومُثِّلَت الأطراف الأربعة في ساقين فقط، وجاء الجزء الخلفي من الجسد أضخم من الجزء الأمامي. وتشابهت الأطراف الأربعة للحصان الثاني في أسلوب تنفيذها مع الأول، إلا أنَّ الأطرافَ الأمامية ظهرت أكبر قليلاً من الخلفية، وكلتاهما طويلتان إلى حدٍّ ما، وجاءت الرقبة متقاربة في حجمها مع البدن، ويتدلى الذيل متوسط الطول إلى أسفل.

غثران 22: يقع على الجانب الشمالي للوادي على مسافة خمسة وثمانين متراً من الموقع السابق، ويلاحظ أنَّ المواقعَ الخمسة (18– 22) تقع في نطاق أقل من كيلومتر واحد (675م). ويعدّ أحد أهم مواقع الفنون الصخرية به إنْ لم يكن أهمها على الإطلاق، وتضم صخوره عدداً من اللوحات الفنية المميزة التي ترجع لفترات زمنية مختلفة بداية من عصور ما قبل التاريخ، وتحوي مجموعة من الهيئات الحيوانية: أبقار ذات قرون طويلة ووعول وأسود وكلاب وجمال، علاوة على كتابات عربية قديمة بالخط الثمودي (لوحة 15).

يشغل الجزءَ الأوسط من أولى صخور الموقع ثلاثُ هيئات حيوانية تقف صفّاً واحداً وراء بعضها البعض متجهة ناحية اليمين، نُفِّذَت بأسلوب منمق جميل وواضح عن طريق الحكّ/ الكشط الكلي لجميع أجزاء البدن. يتقدمها وعلٌ بقرون طويلة منفصلة عن بعضها ترتفع لأعلى ثم تلتف ثانية إلى أسفل وصولاً إلى منتصف الظهر، وقد تعرضت الطبقة الخارجية الداكنة (Patina) لهيئة الوعل كاملة للتآكل والسقوط، أو أنَّ تنفيذَه جاء في مرحلة لاحقة من العناصر الأخرى في اللوحة، وإنْ كان أولهما أكثر ترجيحاً. ويأخذ كل من الرأس والسيقان والبدن شكل المستطيل مع انحناءة بسيطة في منطقة البطن، والسيقان مندمجة كل اثنتين معاً، والرأس بدون ملامح، والذيل قصير مرتفعاً لأعلى. ويأتي من بعده وملامساً لمؤخرته هيئة كلب كبير بأذنين قصيرتين وذيل ملفوف لأعلى بانحناءة فوق الظهر ورأس صغير غير متناسق مع حجم البدن، وجاءت منطقة البطن والأطراف مقوسة بما يشبه نصف دائرة، وجاءت الأطراف بهيئة مثلثين رأسهما لأسفل مع ليونة في خطوط التنفيذ. ويبدو البدن أضخم من بدن الوعل وإنْ كانت الأرجلُ أقصر طولاً. يقف خلف الكلب مباشرة وببدن أقل حجماً بقرةٌ رافعة رأسها لأعلى وبقرنين طويلين يتجهان للأمام ثم مرة أخرى للخلف ومن بعدها نحو الخارج عند الأطراف، وخلف القرنين عند الرأس ما يمثل أذنين يميناً ويساراً. وجاء البدن مع الساقين بشكل حرف U مقلوب مع اتساع قاعدته قليلاً، ويتدلى خلف هذا البدن ذيلاً متوسط الطول.

يشغل المساحة الواقعة أسفل الوعل والكلب أسدٌ أو كلب بحجم كبير وأذن مستقيمة لأعلى مع انحناءة خفيفة نحو الأمام، ويتجه ناحية اليسار، يرفع ذيله بطريقة التوائية إلى الخلف في وضع يشير إلى حركته. ويوجد أقصى أعلى اللوحة كلب آخر بجسد رشيق طويل، وذيل متوسط الطول مرفوع لأعلى، ورقبة وأطراف طويلة، ويتجه في حركته نحو اليسار.

ويوجد على صخرة أخرى مجموعة من العناصر الفنية الحيوانية، التي ترجع إلى فترتين زمنيتين مختلفتين، الأولى وهي أقدمهما ذات اللون الداكن الذي يأخذ لون الصخرة ذاتها وتتجسد فيه صورة تلك الأبقار ذات القرون الكبيرة المتجهة نحو الأمام بانفراجات مُتسعة عند الأطراف، ويطاردها عدد من الكلاب. ويُعبِّر عن الفترة الزمنية الثانية والأحدث كثيراً عن سابقتها ويظهر ذلك جلياً من خلال لونها الفاتح (غشاء العتق) مجموعةٌ من الجمال ذات الأحجام المختلفة والمتجهة جميعاً نحو اليسار.

ويشغل سطحَ صخرة ثالثة رسمةٌ لإحدى الأبقار تتجه نحو اليسار، بالغ النحات في حجم قرونها التي تمتد باستقامة ثم تلتف نحو اليمين في شكل نصف دائرة يتجه مرة أخرى نحو الخلف عند نهايته، ويقف أمام الجزء السفلي لهذا القرن هيئة حيوانية أخرى لكلب متوسط الحجم، يرفع ذيله لأعلى. وقد استُخدم في تنفيذ كلتا الهيئتين أسلوب الكشط الكلي لأجزاء البدن.

تنتشر على كثيرٍ من صخور الموقع العديدُ من هيئات الوعول ذات الأحجام والقرون المختلفة في طريقة تنفيذها فبعضها معقوفاً فوق الظهر عند المنتصف وبعدها تجاوز منطقة البدن بصورة مبالغة جداً، وإنْ جمعها نفس طريقة التنفيذ بالكشط الكلي، والقرون المنفصلة عن بعضها.

وتمثل رسمة لأحد الوعول على صخرة أخرى، هيئة فريدة لم يظهر غيرها في مواقع وادي غثران المكتشفة حتى الآن. ويظهر البدن بحجم متوسط حوالي ثلاثين سنتيمتراً، منتهياً بذيل قصير لأعلى. كما يظهر الوجه والقرنان بوضع أمامي، على عكس الجسم والأطراف المُصوَّرة بوضع جانبي (بروفايل)، وهذه الأخيرة نُفِّذَت في اثنتين فقط (أمامية وخلفية). يلتف القرنان على جانبي الرأس نزولاً لأسفل، مع رقبة غليظة. ويوجد أعلى النصف الخلفي وبصورة مائلة قليلاً هيئة أخرى لوعل يتجه نحو اليمين، تعرضت منطقة الرأس والقرنين للتآكل بنسبة كبيرة.

تحمل كتلةٌ صخرية انفصلت عن تلك الصخرة الكبيرة التي تحمل رسومات من فترتين زمنيتين مختلفتين والمذكورة أعلاه كتابة عربية قديمة بالخط الثمودي، تعرَّض السطرُ الأفقي العلوي منها للتآكل والتهشير، الأمر الذي جعل قراءتها بصورة دقيقة صعباً للغاية، وإنْ تضمن السطرُ الأفقي تكراراً لحرف الدال ثلاث مرات.

غثران 23 و24: يقعان في الجهة الشمالية للوادي، والمسافة بينهما مئة وخمسة وعشرين متراً، وتضم صخورهما عدداً محدوداً من الأعمال الفنية (لوحة 16)، ففي أولهما نحتان لوعلين نُفِّذ الأول بأسلوب الكشط الكلي متجهاً ناحية اليمين، وتُظهر طريقة نحته بأنه صغير السنّ. ويبدو أنَّ النحاتَ لم يأخذ قياساته جيداً

فجاءت قرون الوعل على نهاية الحافة العلوية للكتلة الصخرية، كما جاءت السيقان الأمامية أكبر حجماً من الخلفية، وذيله القصير مرفوع لأعلى فوق مستوى الظهر قليلاً. وقد نُحت –دون القرون– بارتفاع عشرة سنتيمترات، وبطول عشرين سنتيمتراً. أما الوعل الآخر فقد تم تنفيذه بطريقة الحدود الإطارية (التخطيط الإطاري) لأجزاء الجسم دون تفريغ البدن من الداخل. وقد جاءت خطوط الجسم سميكة، وهي خطوط ليّنة غير حادة، ويظهر ذلك بوضوح في منطقة الظهر والبطن. ويتجه الوعل جهة اليسار، وقرناه معقوفان إلى الخلف ويصل أحدهما حتى نهاية البدن أعلى الذيل القصير. ونُحت بحجم يقارب حجم الوعل الأول مع زيادة بسيطة في الطول.

تحوي صخور الموقع الآخر بعض اللوحات الفنية التي تختلف زمنياً، ولكنها تتشابه في تنفيذها بأسلوب الكشط/الحكّ الكلي، وتمثل أحدثها بلونها الفاتح صورة أحد الجمال متجهاً ناحية اليمين، بالغ الفنان في طول رقبته الأقل وضوحاً وذيله، وجاء الأخير بمستوى السنام الذي شكَّل مع البدن كتلة واحدة أقرب للمثلث. ويوجد على صخرة أخرى مجموعة من الكلاب متفاوتة الأحجام، وأكثرها دقة ووضوحاً هو أكبرها حجماً.

غثران 26 و27: يقعان في الجهة الجنوبية للوادي، والمسافة بينهما حوالي مئة وثلاثين متراً، ويقع الأخير منهما –الذي يمثل آخر المواقع المستكشفة في هذه الدراسة– على بُعد ثلاثمائة متر من طريق الإسفلت رنية– تربة مروراً بالحرَّة (رقم 4007). وعُثِر فوق سطح بعض صخورهما على عدد من الهيئات الحيوانية التي تشير طبقة غشائها الفاتح جنباً إلى جنب مع الكتابات الثمودية إلى أنهما من المواقع المتأخرة زمنياً في غثران (لوحة 17). تضم إحدى صخور الموقع الأول مجموعة من العناصر الفنية حيوانية الهيئة، يظهر منها بصورة واضحة أحد الوعول بجسم مائل متجهاً لأعلى جهة اليمين، وقد أجاد الفنان في التعبير عن حركته من خلال ساقيه الأماميتين وتقدم إحداهما عن الأخرى، وذيله –رغم طوله المبالغ فيه– الممتد خلف البدن بمستوى أقل قليلاً من الظهر. ومع نجاحه في التعبير عن السيقان الأربعة، إلا أنه عبَّر عن القرنين بقوس واحد يتجه نحو الخلف. ويتجسد سبب حركة الوعل فيما يظهر خلفه بمستوى جزئه الأخير، وهو كلب أو ثعلب بجسد طويل وذيل ممتد خلفه وآذان طويلة وسيقان تبدو عليها الحركة أيضاً، ربما كان في مطاردة وهجوم على الوعل. وقد نفذ الفنان هاتين الهيئتين بأسلوب الكشط/ الحكّ الكلي لجميع أجزاء الجسم الرشيق. وتحتوي صخرة ثانية في الموقع على نقشين ثموديين في سطرين أفقيين، يوجد إلى جانبهما الأيمن جمل بالكشط الكلي متجهاً يميناً رافعاً ذيله، ومن فوقه يجلس صاحبه.

تضم واجهة إحدى صخور الموقع الثاني نقشاً عربياً قديماً بالخط الثمودي، وأعلى الحرفين الأولين من بدايته عند اليمين جملٌ نُحتت أطرافه الأربعة كاملة، مع ذيل متدلي لأسفل يكاد يقاربها طولاً. ويوجد في أسفل النقش الكتابي رسماً لحصان نُحتت جميع أطرافه، ومن فوقه يظهر صاحبه. وعلى أحد جوانب الصخرة نفسها وُجِدَت هيئتان إحداهما لجملٍ بأطرافه الأربعة متجهاً نحو اليمين، والثانية لطائر النعام يتجه

ناحية اليسار، وقد بالغ النحات في تصوير مخالب الطائر وذيله. وعُثِر فوق صخرة أخرى على هيئة جمل ومن خلفه ما يمثل حصاناً وفوقه راكبه. وقد استُخدم أسلوب الكشط الكلي في تنفيذ جميع الهيئات الحيوانية.

الدراسة التحليلية والدلالات الحضارية:

تُعدّ الفنونُ الصخرية مصدراً متميزاً ومهماً للمعلومات عن العديد من المظاهر الحضارية للإنسان القديم والبيئة الطبيعية المحيطة التي عاش فيها منذ عصور ما قبل التاريخ وما تلاها من حقب زمنية طويلة. وأصبح ضرورياً على المتخصصين في الأنثروبولوجيا والتاريخ والفن، وليس الآثاريون فقط، أنْ يقوموا بدراسة وتحليل مشاهدها وتفسير ما تحويه من كمية كبيرة من البيانات والمعلومات الثمينة في تلك المجالات المتنوعة وغيرها. وقد أظهرت فنونُ وادي غثران الصخرية بعضاً من تلك المظاهر البيئية والحضارية، لعدد من الحيوانات والطيور التي عاشت في المكان، وكيفية استغلال الإنسان لها واستفادته منها في الحصول على غذائه وشرابه ولباسه، وتسخيرها في الركوب والحمل والانتقال، علاوة على الصراع بين الحيوانات المفترسة والحيوانات آكلة العشب والإنسان. فالصورة الحالية لخلو الوادي من تلك الثروة الاقتصادية الحيوانية لم تكن كذلك حتى وقت قريب؛ فها هو "الجاسر" يذكر أنَّ السراةَ إلى عهد غير بعيد كانت موطناً للحيوانات المفترسة مثل الأسود والنمور والضباع وغيرها، وكانت الأمثال تُضرَب بأسود بيش وببيشة وترج وتبالة، تلك الأودية المنحدرة من جبال الحجاز الجنوبي (السراة) مُشرقة. كما كان يوجد فيها الوعل بكثرة، وتنتشر الظباء في سفوحها حتى جاء عصر البندقية فقضى عليها[34].

1-العناصر الفنية في فنون وادي غثران:

يتبيَّن من خلال دراسة عددٍ من الواجهات الصخرية لثلاثة وعشرين موقعاً في وادي غثران وجودَ مجموعة مختلفة من العناصر الفنية لهيئات آدمية وحيوانية جنباً إلى جنب مع الكتابات العربية القديمة (الثمودية). وقد تمَّ حصر ما مجموعه مئة وأربعة وخمسين شكلاً/رسماً لتسعة عناصر فنية دون الكتابات (جدول 1)، كان نصيبُ الهيئات الآدمية منها عشرون عنصراً (بنسبة 12.98%)، ومئة وأربعة وثلاثون للهيئات الحيوانية (بنسبة 87.02%). ويلاحظ أنَّ أكثرَها للفصيلة الكلبية (42 بنسبة 27.27%)، ومن بعدها بنسب متقاربة الوعل (28 بنسبة 18.18%)، ثم الإبل (25 بنسبة 16.23%) فالأبقار/الجواميس (22 بنسبة 14.28%)، ثم بنسب أقل كثيراً تأتي المها (6 بنسبة 3.89%)، والأسد (5 بنسبة 3.24%)، والحصان (4 بنسبة 2.59%)، وأقلها وبصورة واضحة لطائر النعام (2 بنسبة 1.29%).

كلب	وعل	جمل	بقر/جاموس	آدمي	مها	أسد	حصان	نعام
42	28	25	22	20	6	5	4	2

يتناسب ذلك الظهور الكبير للكلب مع السجل الأثري والتاريخي المهم له في شبه الجزيرة العربية وفي غيرها من مناطق العالم القديم التي اعتُبِر في بعضها رمزاً دينياً لعدد من المعبودات؛ فهو أول الحيوانات

التي نجح الإنسانُ في استئناسها والتآلف معها، وهو الرفيق والحارس اليَقِظ، رمز الإخلاص والوفاء. وكان لدوره المُهم، منذ استئناسه، في الحراسة والصيد، بالإضافة إلى سلوكه الاجتماعي الودود في التقرب إلى المجتمعات السكنية والعيش قربها، الأثر الأكبر الذي جعل العربي القديم يصنع على هيئته الدلايات والقلائد [أو التمائم؟] والتماثيل الصغيرة، ويحفر صورته على الأختام واللوحات الحجرية[35].

وتُمَثِّل الفنونُ الصخرية المنتشرة في عدد من مواقع وادي غثران –شأنها شأن كثير من مواقع شبه الجزيرة العربية الأخرى– شواهدَ أثرية دامغة على استئناس أهلها للكلب منذ عصور ما قبل التاريخ، ونجاحهم في الاستفادة منه في عمليات الصيد (لوحة 18)، ذلك الدور الذي استمر طوال العصور اللاحقة. ويبدو أنَّ الأدوارَ التي قدَّمها هذا الحيوان الأليف قد جعلت له مكانةً عالية بمرور الوقت عند العرب القدماء، وهو ما أكدته أشعارهم الفصيحة وقصائدهم الطويلة التي تُظهِر كيفية مطاردة الكلاب لفرائسها ومحاصرتها لها وأساليبها في الإيقاع بها والنيل منها، وكذلك ما تتعرض له من هزيمة وقيامها بالفرار بعد إصابتها أو حتى مصرعها خاصة من طعنات قرون ثور نافذة. ولعل من أجمل هذه الصور هي تلك التي عُبِّر عنها في أبيات قصيدة من قصائد "امرئ القيس" أظهرت المشهد لصراع بين ثور وحشي يلفّه الخوفُ والذعرُ من الكلاب التي أجهدته رغبة في صيده وقتله ولكنها لم تتمكن من إخضاعه، كما لو كان مرسوماً أو تمَّ التقاطه بكاميرا فوتوغرافية. وقد تعددت أمارات الفراهة أو الخصائص والصفات الدالة على كلاب الصيد المميزة في أبيات شعرية كثيرة، ولعل من أهم تلك الصفات: العنق الطويل الغليظ والآذان المسترخية وحدّة السمع والبصر والأنياب الملتصقة والأشداق الواسعة والمرافق المتباعدة والرؤوس الدقيقة قليلة اللحم، وأجساد ضامرة زرقاً ومحمرة العيون من شدة الغضب والترقب[36]. ومما يؤكد على أهمية الكلب في حياة العربي وما قدَّمه له باعتباره وسيلة لمساعدته من أجل توفير قوته في سبيل العيش والبقاء، ما جاء في وصف "المَزرِّد بن ضِرار الذبياني" لصياد يصيد بقوسه وكلابه، وقد فَقَدَ كلبين منها فساءت حاله واستجدى الناس واستعان بأصحابه فلم يعينوه، وتعذّرت عليه سبل الرزق، فضعف جسمه وامتنع عليه النوم من شدة ما يعاني من ألم الجوع[37].

ويدل ظهورُ الوعول والجواميس أو الأبقار/ الثيران بتلك الأعداد الكبيرة على أنَّها لعبت دوراً كبيراً في النظام الغذائي والأسلوب المعيشي لقاطني المنطقة في عصورهم المبكرة التي اعتمدوا فيها اعتماداً كلياً على الصيد قبل معرفتهم استئناس الحيوان والرعي ومن بعدها بالتوازي، وهم بذلك يتفقون مع أغلب مناطق شمال وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية. وتؤكد صورُ تلك الأنواع من الثيران والأبقار ذات القرون الطويلة على أنَّ المنطقةَ كانت ذات بيئةٍ باردة رطبة وتتمتع بكثافة في الغطاء النباتي؛ لتكون ملائمة لمعيشة هذه النوعية من الحيوانات. وكان هذا العنصر الفني الحيواني شائعاً في الفنون الصخرية بعدة مناطق في اليمن القديم[38] والمملكة العربية السعودية أشهرها جُبّة والشويمس في منطقة حائل والحناكية في منطقة المدينة المنورة، مع التفاوت في أحجام أجسامه وقرونه، وينتمي بأشكاله وأحجامه المتنوعة وقرونه الكبيرة الملتوية أو الممتدة

للأمام للسلالتين الإفريقية والهندية[39]. وتتشابه الأبقار المنحوتة في وادي غثران وفي روافده مثل تلك الموجود على صخور شعيب نجلة (لوحة 19) في أشكالها –خاصة القرون– مع ذلك النمط الذي أُطلِق عليه أسلوب جُبّة (لوحة 20)، ولكنها تختلف عنه في أحجامها الصغيرة، على عكس فنون المواقع الثلاثة المذكورة أعلاه التي تميزت بأحجامها الطبيعية أو أصغر قليلاً[40].

وقد ظهر الوعلُ مرافقاً للأبقار أو الجواميس في عدد من واجهات وادي غثران الصخرية، ولكنّ أعدادَه أصبحت أكثر في مرحلة تالية بدأ فيها التلاشي التدريجي لأسلوب جبة وغياب الأبقار ذات القرون الطويلة. وجدير بالذكر أنَّ الوعلَ المنتشر في شبه الجزيرة العربية هو النوع النوبي (Capra ibex Nubian) الذي يتميز مقارنةً بالأنواع الأخرى بصغر جسمه نسبياً ودرجة لونه القريبة من الصخور الصحراوية وقرونه الطويلة المعقوفة غير الملتوية. ويستوطن الوعلُ سفوحَ الجبال شديدة الانحدار، ولكنه في الوقت نفسه يتميز عن حيوانات الصحاري باعتماده على الماء، وبالتالي فإنَّ قطعانَ الوعول تتركز دائماً في مناطق تواجد الماء السطحي والغدران والبرك الصخرية. وتعتبر عملية صيد الوعل التي بدأت منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت حتى العصور الحديثة من أصعب عمليات الصيد ولا يحالفها النجاح دائماً[41].

ويدل غشاءُ العتق للعناصر الفنية الثلاث (الجمل والحصان والنعامة) على أنَّها ترجع لفترة زمنية أحدث عهداً من غيرها، ورغم هذا فإنَّ نسبةَ ظهور الجمل –التي تأتي بالمرتبة الثالثة بعد الكلب والوعل في موضوع الدراسة– تحمل دلالات واضحة على الأهمية التي نالها عند العربي القديم، باعتباره أحد الموضوعات أو الرموز المهمة التي ارتبطت بإنسان شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام ارتباطاً قوياً، كما جمعت بينهما علاقة وثيقة احتل فيها الصدارةَ في عقلِ العربي وقلبه؛ فراقبَه في جميعِ مراحله العمرية، ودفنه بعد مماته. ويرجع كل هذا دون شكٍّ إلى الاستفادة الكبيرة التي وجدها العربي في هذا المخلوق في عدة نواحي حياتية (اقتصادية، وعسكرية، وصحية...إلخ)[42].

ونال الحصانُ بعد استئناسه مكانةً عظيمة قد لا تقل أهميةً عن تلك التي نالها الجمل، فأصبح أبرز العناصر الحيوانية التي تمّ تنفيذها على الواجهات الصخرية[43] وفي الرسوم الملونة وفي أعمال النحت المختلفة؛ إذ أسهمت الخيول بدور كبير في الجانبين الاقتصادي (عملية صيد الطرائد) والعسكري على وجه الخصوص. ولا تعني النسبة القليلة في ظهور الخيول أنَّها لم تكن ذات أهمية كبيرة في المنطقة، ولكنها تؤكد في الوقت ذاته على معرفة قاطني المكان استئناسها آنذاك؛ إذ يظهر فوق ظهورها أصحابها يقودونها.

ومع أنَّ ظهورَ النعام في الفنون الصخرية بشبه الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية السعودية خاصة كثيراً ما ارتبط بمشاهد صيده بواسطة الصيادين الذين يحملون أسلحتهم (رماح وأقواس وسهام... إلخ) بمفردهم أو بمساعدة كلابهم، من فوق خيولهم أو مشاة[44]، إلَّا أنَّ حالتي الظهور في فنون وادي غثران جاءتا منفردة وغير مرتبطة بمشاهد صيد، كما نُفِّذَتَا بمستوى فني ضعيف مع التركيز على الساقين والرقبة

الطويلة التي تُميز الطبيعة الجسمانية لهذا الطائر الذي شارك في النشاط الاقتصادي (النظام الغذائي والكسائي والتزييني/الجمالي)؛ إذ يُستفاد من لحمه وبيضه وريشه.

تعيش الأسودُ في السهول الواسعة من مناطق السافانا والأراضي العشبية، وهي من الحيوانات آكلة اللحوم؛ لذا فإنَّها تعيش في أماكن تواجد الثدييات مثل الغزلان والوعول والظباء والحُمر الوحشية وغيرها، فتقوم بافتراسها لتقتات عليها. وكانت شبه الجزيرة العربية بيئةً مناسبة لمعيشتها حتى العصور الإسلامية المبكرة، وتتعدد الشواهد الأثرية على ذلك ممثلة في الفنون الصخرية وفنون النحت والرسم وقصائد الشعر الجاهلي[45]. ويبدو أنَّ وادي غثران بوفرة مياهه وأعشابه وحيواناته البرية المتنوعة (الأبقار والجواميس والوعول والمها وغيرها) كان بيئةً مناسبة تتوافر فيها مقومات وجودها.

- **الكتابات الثمودية:**

ظهرت بعض الكتابات العربية القديمة مجاورة لعدد من العناصر الفنية المحزوزة على نفس الصخرة، في حين جاء بعضها الآخر منفرداً على صخرة مستقلة، وهي عبارة عن نصوص تذكارية قصيرة تنتمي لفئة النقوش الثمودية التي تتضمن بعض الحروف المسندية أقرب منها للثمودية الشمالية الصرفة. ومما يُؤسَف له أنَّ كتابتَها جاءت بطريقة غير واضحة كلياً نتيجة لطبيعة الصخور البركانية، علاوة على تعرضها للعوامل الجوية، الأمر الذي جعل قراءتها –بصورة حاسمة– أمراً صعباً. وتشير أشكالُ حروفها إلى أنها أقرب لمرحلة الثمودي الوسيط (المرحلة الانتقالية حجازي C.D)، التي تؤرخ بالفترة الواقعة بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي، والثمودي المتأخر (التبوكي E) المؤرخة بالفترة ما بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد أو الأول الميلادي ونهاية الرابع الميلادي[46]. ويمكن استعراض الواضح منها للقراءة على النحو التالي:

كُتِبَ على صخرة أصابتها التصدعات في موقع غثران 1 مجموعةٌ من النصوص التذكارية القصيرة لأفراد أشاروا فيها إلى أسمائهم، منها ثلاثة أسطر متتالية تُقرأ: ب ز ص ب ز ن (أي: بواسطة زص بن زن)، ب ن ع ذ ل م ت (أي: بن عاذل/ عذ إل مات)، ح ر ث ر ب ... (أي: حارث عظيم...).

ونُقِشَ على إحدى صخور غثران 26 كتابة ثمودية من سطرين، يوجد إلى يمينهما رسمةٌ لجمل يتجه ناحية اليمين، يُقرأ أولهما من اليمين إلى اليسار: س ل ك و د د و ش ك ت (أي: سلك أحبّ/ودَّ وشكت/ وشيكة). ويقرأ ثانيهما: ح م ي و د د ذ ل ج (أي: حمي ودّ ذلاج). ويعتبران من النقوش الاجتماعية التي عبَّر فيها أصحابها عن محبتهم وودهم للآخرين؛ إذ يُظهِر سلك وحمي حبهم لوشيكة وذلاج.

كما سُجِّلَ على إحدى صخور غثران 27 –بين الهيئات الحيوانية المذكورة سابقاً– سطرٌ ثمودي يمكن قراءته من اليمين إلى اليسار: ل م ل ي و ر ق ن... (أي: بواسطة ملي ورقن) مع وجود كلمة ثالثة

يصعُب قراءة حروفها. وهو نقش قصير يدل على الملكية، ولكنها لا تعني بالضرورة ملكية تلك الحيوانات الموجودة معه؛ إذ أنَّ غشاءَ العتق لها يدل على كونها ترجع لفترة أحدث من تلك التي يرجع إليها النقش.

2-أساليب وتقنيات التنفيذ:

يوجد طريقتان رئيستان لتنفيذ الأعمال الفنية على الواجهات الصخرية بشكل عام، أكثرهما انتشاراً هي الحزّ أو النحت، أما الأخرى فهي استخدام الألوان وتكون غالباً داخل الكهوف والملاجئ الصخرية. وقد استُخدِم في تنفيذ جميع فنون الدراسة بوادي غثران الطريقة الأولى مع التباين في التقنيات والأساليب؛ فهناك النقر باستخدام أداة، غالباً من الحجر، للطَرْقِ مباشرة على سطح الصخرة، وهناك أيضاً الحزّ/ التحزيز باستخدام قطعة حادة من حجر الصوان ولاحقاً من المعدن بعد اكتشافه لعمل خطوط إطارية دقيقة وغير عميقة للأجساد أو العناصر الفنية المرغوب تنفيذها، علاوة على هذا وذاك يوجد تقنية الكشط أو الحكّ أو الصنفرة وتُستخدَم في أغلب الأحوال على أسطح الصخور القاسية جداً، وقد يكون استخدامها منفرداً أو جنباً إلى جنب مع الطريقة السابقة (التحزيز). ويمكن القول أنَّ تلك العناصر الفنية جمعت بين الأسلوب التخطيطي بالطريقة شبه الواقعية في معظمها مع الأسلوب العودي لبعضها الآخر. وظهر أغلب الهيئات الحيوانية بمنظور جانبي مع بعض أجزائها بمنظور أمامي ولا سيما القرون والتي تصور أحياناً من أعلى. وجاء على العكس من ذلك الهيئات الآدمية بمنظور أمامي باستثناء واحدة بمنظور جانبي (غثران 18).

وجدير بالذكر أنَّ تصويرَ الهيئات الحيوانية كان أكثر دقة وجمالاً من تصوير الهيئات الآدمية، ففي الوقت الذي جاءت هذه الأخيرة بدون ملامح وتفاصيل دقيقة، جاءت الأولى بنسب وخطوط خارجية أقرب ما يكون للواقع باستثناء أحجامها وتفاصيل الوجه، ربما في دلالة على أهميتها الاقتصادية للإنسان سواء باعتبارها حيوانات برية أو مستأنسة.

3-التأريخ الزمني:

سادت شبه الجزيرة العربية فتراتٌ من الظروف المناخية الجيدة أو ذات الرطوبة العالية خلال الفترة الممتدة ما بين الألفين التاسع والرابع قبل الميلاد[47]. وقد أظهرت أعمالُ المسح الأثري خلال عام 1979م للمنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية، ومنها رنية وجوارها، العديدَ من الشواهد الأثرية وأهمها الأدوات الحجرية المتنوعة التي تشير إلى استيطان الإنسان في المنطقة خلال عصور ما قبل التاريخ بمراحلها المختلفة (من العصر الحجري القديم وحتى الحجري الحديث) وما تلاها من فترات زمنية خلال العصر النحاسي والبرونزي والحديدي وحتى العصر الإسلامي[48]. ومع أنَّ وسائلَ وطرقَ تأريخ الفنون الصخرية العلمية منها والتقليدية دائماً ما تكون عُرضة للنقد بسبب ما يعتريها من مشاكل تؤدي إلى دلالات غير قاطعة وحاسمة[49]، إلا أنَّ مثل تلك الشواهد الأثرية المكتشفة في المناطق المجاورة تساعد في عملية التأريخ النسبي غير المطلق، جنباً إلى جنب مع ظروف البيئة الطبيعية اللازمة لمعيشة الهيئات الحيوانية المُنفَّذة في تلك الفنون.

ويمكن القول بالتالي أنَّ اللوحات الصخرية التي تشغلها الجواميس/ الأبقار ذات القرون الطويلة تعود إلى فترة زمنية كان المناخ فيها (رطباً، كثير المطر، معتدل البرودة) يسمح بتواجدها في منطقة ذات أراضي عشبية، وذلك في فترة العصر الحجري الحديث على أقل تقدير (الألف التاسع– الألف الرابع قبل الميلاد). وتنبغي الإشارة إلى أنَّ الواجهات الصخرية قد تحمل عدةَ لوحات فنية أو لوحة واحدة، وقد تتضمن اللوحةُ عدةَ عناصر/ رسوم فنية تؤرخ بفترة زمنية واحدة أو بفترات متعددة، الأمر الذي يدل على استمرارية استيطان الموقع أو المرور به والمكوث فيه لفترات زمنية مؤقتة على الأقل. ومن ثمَّ فإنَّ وجودَ الأبقار ذات القرون الطويلة في لوحة لا يعني بطبيعة الحال تأريخ جميع عناصرها الفنية (مثل الجمل أو الحصان وفوقه صاحبه، والكتابات القديمة) بالفترة ذاتها.

تؤرخ الفترة التالية التي ازداد فيها ظهور الوعول في الأعمال الفنية الصخرية مع تلاشي أسلوب جبة واختفاء الأبقار ذات القرون الطويلة بالعصر الحجري النحاسي ثم البرونزي. وتؤكد المنشآت والدوائر الحجرية المنتشرة على جانبي وادي غثران (خريطة 8، 9) جنباً إلى جنب مع الأدوات الحجرية المكتشفة والمذكورة أعلاه على نوع من الاستقرار البشري في المكان مهما تفاوتت الآراء حول طبيعة تلك المنشآت[50].

يُعدّ وجود الكتابات العربية القديمة –المعروفة بالثمودية– في وادي غثران كما سبقت الإشارة، مؤشراً تأريخياً مهماً لإرجاع بعض الأعمال الفنية أو بعبارات أخرى الوجود البشري في المكان لفترة العصر الحديدي وما تلاه فيما يوازي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد والقرون الأولى للميلاد. ويتبيّن إذن أنَّ اللوحات الفنية المُنفَّذة على صخور وادي غثران ترجع لفترة زمنية طويلة ممتدة من العصر الحجري الحديث وحتى القرون الأولى للميلاد.

خاتمة البحث ونتائجه:

تُعدّ الفنونُ الصخرية مصدراً متميزاً ومهماً للمعلومات عن العديد من المظاهر الحضارية للإنسان القديم والبيئة الطبيعية المحيطة التي عاش فيها منذ عصور ما قبل التاريخ وما تلاها من حقب زمنية طويلة. وقد أظهرت فنونُ وادي غثران الصخرية، بعد دراستها بالوصف والتحليل–المقارن، شيئاً من تلك المظاهر البيئية والحضارية. ويمكن إبراز بعض من نتائجها على النحو التالي:

- استعرضت الدراسة عدةَ معانٍ في اللغة العربية الفصحى للجذر "غ ث ر" ، وتبيَّن أنَّها تدور في معظمها حول معنى الوفرة والسَّعَة والكثافة والخصب أو اللون الضارب إلى الحمرة أو الخضرة.
- رجَّحت الدراسة أنَّ اسمَ الوادي جاء في ارتباط مع لون الصخور والرمال المحيطة به أو مع ما يتمتع به من وفرة في الأشجار والشجيرات التي ما زالت موجودة بكثرة حتى وقتنا الحاضر.
- حددت الدراسة طول وادي غثران –استناداً إلى خرائط جوجل إرث جنباً إلى جنب مع استخدام عداد السيارة– بحوالي 32كم وربما يزيد عن ذلك قليلاً، ويوازي في معظمها مجرى وادي رنية الواقع إلى

الجنوب منه، مع وجود تعرجات وانحناءات عديدة. كما بيَّنت أنَّ ارتفاعَ مجرى الوادي عن سطح البحر يبلغ عند منبعه (غرباً) حوالي 990 متراً، وعند مصبّه (شرقاً) حوالي 940 متراً.

- وثَّقَت الدراسة عدداً من الشِعاب التي تفيض في وادي غثران، وبالتالي فإنَّها تمثل روافداً لتزويده بالمياه، من أهمها: شعيب نجلة، وشعيب السمرية، وشعيب السليم، وشعيب السايلة.
- أكدت الدراسة أنَّ أعمالَ المسح والتنقيب الميداني –في ضوء التقارير والأعمال البحثية المنشورة– لم تصلْ لا من قريب ولا بعيد إلى دراسة الآثار الموجودة بوادي غثران ومنها الفنون والكتابات الصخرية.
- أظهرت الدراسة أنَّ طبيعةَ صخور وادي غثران النارية البلورية باعتباره جزءاً من حوض وادي رنية، في إحدى مناطق الحرّات البركانية الواقعة شرق جبال الحجاز الجنوبي (السراة)، كان لها تأثيرٌ كبير في عدم وضوح فنونها وكتاباتها الصخرية وضوحاً تاماً.
- كشف المسح المبدئي عن سبعة وعشرين موقعاً للفنون الصخرية والكتابات العربية القديمة في وادي غثران، تناولت الدراسة الأعمال الفنية في ثلاثة وعشرين منها.
- تبيَّن من خلال دراسة عددٍ من الواجهات الصخرية لثلاثة وعشرين موقعاً وجودَ مجموعة مختلفة من العناصر الفنية [مئة وأربعة وخمسون شكلاً/رسماً لتسعة عناصر فنية] لهيئات آدمية [عشرون عنصراً بنسبة 12.98%] وحيوانية [مئة وأربعة وثلاثون بنسبة 87.02%]، جنباً إلى جنب مع الكتابات العربية القديمة (الثمودية).
- كشفت الدراسةُ عن بعض الطرق المُستخدمة في صيد عدد من الحيوانات البرية مثل الأبقار والثيران والوعول في العصور القديمة، فكانت تلك المشاهد الفنية الصخرية بمثابة إحدى اللقطات التصويرية المُعبِّرَة لنشاط محدد شغل فكر الفنان/ النحات الذي قام بتنفيذها.
- عبَّر العربي القديم عن لحظة محددة اختارها من لحظات الحياة اليومية التي عاشها في بيئته، متمثلة في نشاط الصيد الذي قام به إما رغبة في الحصول على طعامه أو كنوع من الرفاهية والرياضة أو الطقوس الدينية.
- قدَّمت الفنونُ الصخرية المنتشرة في عدد من مواقع وادي غثران –شأنها شأن كثير من مواقع شبه الجزيرة العربية الأخرى– شواهدَ أثرية دامغة على استئناس أهلها للكلب منذ عصور ما قبل التاريخ، ونجاحهم في الاستفادة منه في عمليات الصيد.
- يدل ظهورُ الأشكال الحيوانية المتنوعة ولا سيما الجواميس أو الأبقار/ الثيران ذات القرون الطويلة على أنَّها لعبت دوراً كبيراً في النظام الغذائي والأسلوب المعيشي لقاطني المنطقة في عصورهم المبكرة.
- تؤكد هذه النوعية من الحيوانات على أنَّ المنطقةَ كانت ذات بيئةٍ باردة رطبة وتتمتع بكثافة في الغطاء النباتي؛ لتكون ملائمة لمعيشتها.

- كشفت الدراسة عن تنوع تقنيات تنفيذ الفنون الصخرية (النقر والحزّ والكشط/الحكّ)، وكذلك تعدد أساليبها (التخطيطي/ الإطاري شبه الواقعي والعودي).
- أظهرت الدراسة أنَّ اللوحات الفنية المُنفَّذة على صخور وادي غثران ترجع لفترة زمنية طويلة ممتدة من العصر الحجري الحديث وحتى القرون الأولى للميلاد.

توصيات الدراسة:

- تؤكد النتائج السابقة أنَّ وادي غثران من المواقع الأثرية المهمة؛ لذا توصي الدراسة بضرورة إجراء أعمال مسح أثري مكثف في الوادي بصفة خاصة ومحافظة رنية عامة في أوقات مختلفة؛ نظراً لطبيعة الفنون الصخرية غير الواضحة بصورة جلية، علاوة على اختيار عدد من المواقع لإجراء أعمال الحفر والتنقيب الأثري بها.
- حثّ الباحثين وطلاب الدراسات العليا وتشجيعهم من خلال تقديم الدعم اللازم لهم لدراسة الآثار القديمة ولا سيما الفنون والكتابات الصخرية والمنشآت والأدوات الحجرية المنتشرة في عدة مناطق في رنية.
- تكريم أبناء محافظة رنية، وغيرهم من أبناء مناطق المملكة المختلفة، المهتمين بالآثار والقائمين بالإبلاغ عمَّا يجدونه من مواقع أو لقى أثرية وتسليمها للجهات المختصّة، تكريماً مادياً ومعنوياً لتشجيعهم وغيرهم للحفاظ على إرثهم الحضاري العريق.

أولاً: الجداول

جدول 1: إحصائية بالعناصر الفنية في اللوحات الصخرية المختارة

الموقع	هيئة	هيئة	هيئة حيوانية							كتابة
غثران	آدمية	طائر	بقر/ثور	وعل	جمل	حصان	مها/ ظبي	أسد	كلبيات	ثمودية
1	2	–	1	2	–	–	–	1	6	✓
2	1	–	2	1	1	–	2 (؟)	–	–	–
3	–	–	2	1	–	–	1 (؟)	–	–	–
4	–	–	–	2	–	–	–	–	2	–
5	–	–	–	2	–	–	–	–	–	–
6	–	1	1	–	–	–	–	–	–	–
7	–	–	2	–	–	–	–	–	–	–
8	–	–	–	1	–	–	–	–	–	–
10	1	–	1	5 (؟)	6 (؟)	–	–	1	5 (؟)	–
11	–	–	–	–	–	–	–	1	–	–
12	6 (؟)	–	1	1	6 (؟)	–	–	–	3	–
13	–	–	1 (؟)	1 (؟)	–	–	–	–	–	–
14	–	–	1	–	–	–	1	–	2	–
15	1	–	1	1	–	–	–	1	–	–
16	–	–	–	–	–	–	1	–	1 (؟)	–
17	3	–	1	3	4 (؟)	–	1 (؟)	–	6 (؟)	–
18	1	–	4	–	–	–	–	–	6	–
21	2	–	–	–	–	2	–	–	–	–
22	–	–	4 (؟)	5	3	–	–	1	6 (؟)	✓
23	–	–	–	2	–	–	–	–	–	–
24	–	–	–	–	1	–	–	–	4	–
26	1	–	–	1	1	–	–	–	1	✓
27	2	1	–	–	3	2	–	–	–	✓
مجموع	**20**	**2**	**22**	**28**	**25**	**4**	**6**	**5**	**42**	✓

ثانياً: الخرائط واللوحات

خريطة 1: محافظات منطقة مكة المكرمة

خريطة 2: محافظة رنية ومراكزها

خريطة 3: واديا غثران والبحرة يصبان في وادي رنية شرقاً (عمل الباحث بواسطة جوجل إيرث)

خريطة 4: منبع وادي غثران من وادي رنية عند المفجر غرباً (عمل الباحث بواسطة جوجل إيرث)

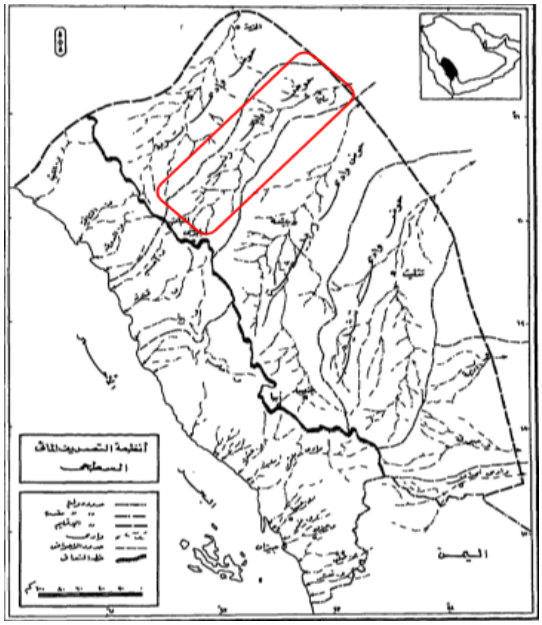

خريطة 5: حوض وادي رنية

خريطة 6: المواقع الأثرية المُسجَّلة موسم 1399هـ/ 1979م

(عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص60) (يوريس زارينس وآخرون، التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية 1399هـ/1979م، لوحة 4)

خريطة 7: جبل الشايل جنوب واديي رنية وغثران عند المفجر

(عمل الباحث بواسطة جوجل إيرث)

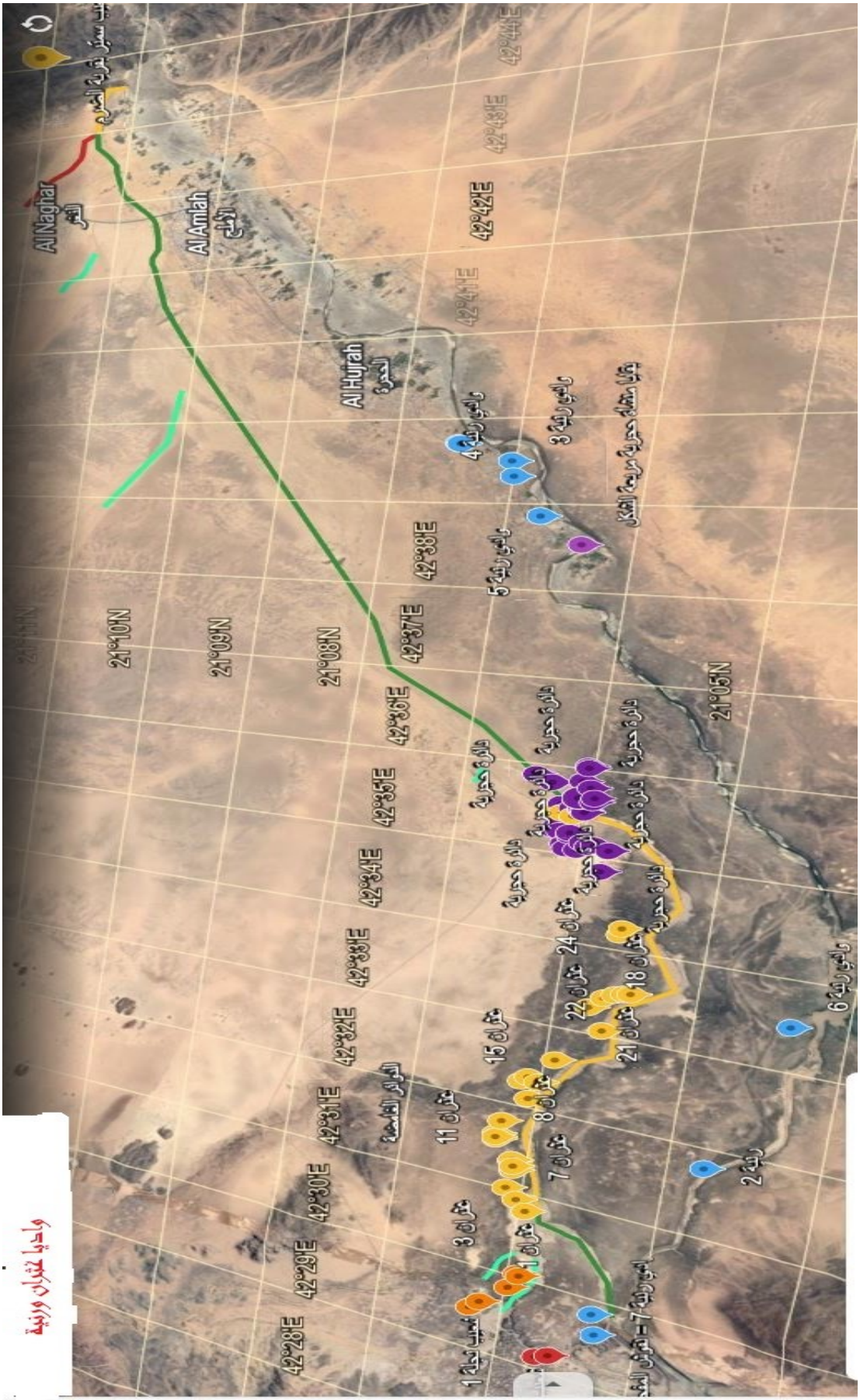

خريطة 8 أ: واديا غثران ورنية وبعض مواقعهما الأثرية (عمل الباحث بواسطة جوجل إيرث)

خريطة 8 ب: 27موقعاً للفنون الصخرية بالمنطقة المستكشفة بوادي غثران (عمل الباحث بواسطة جوجل إيرث)

خريطة 9: بعض المنشآت والدوائر الحجرية على جانبي وادي غثران (عمل الباحث بواسطة جوجل إيرث)

50سم

10سم

100سم

20سم

مقاييس الرسم في اللوحات

لوحة 1: البيئة الطبيعية لوادي غثران

لوحة 2: موقع غثران 1

لوحة 3: غثران 2

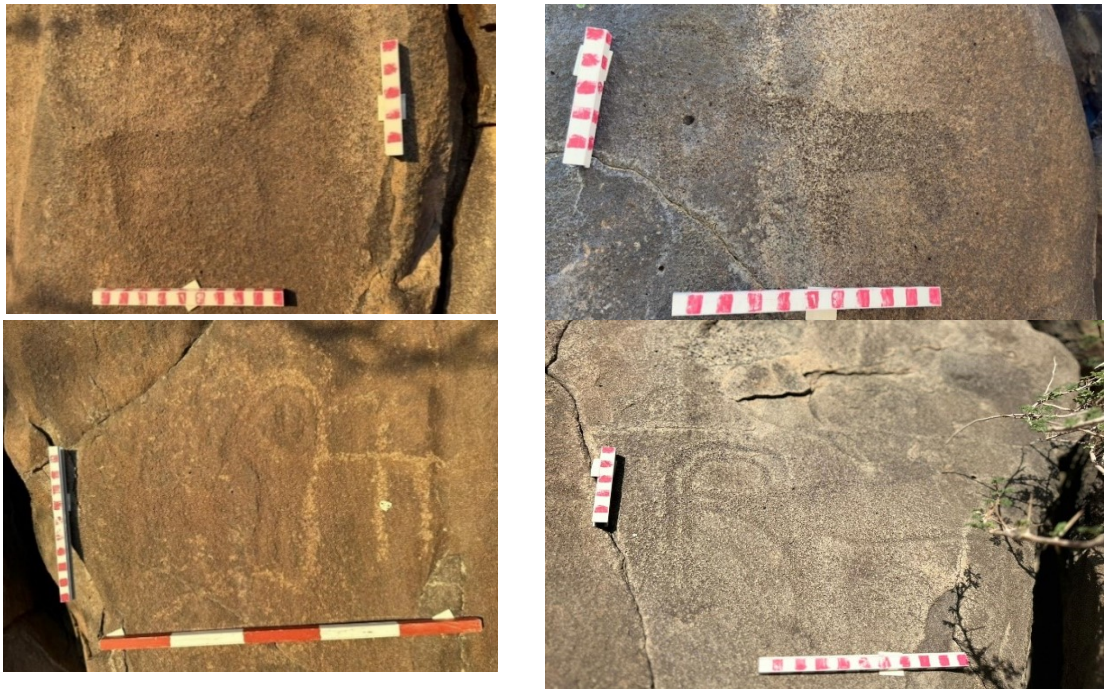

لوحة 4: غثران 3

لوحة 5: غثران 4

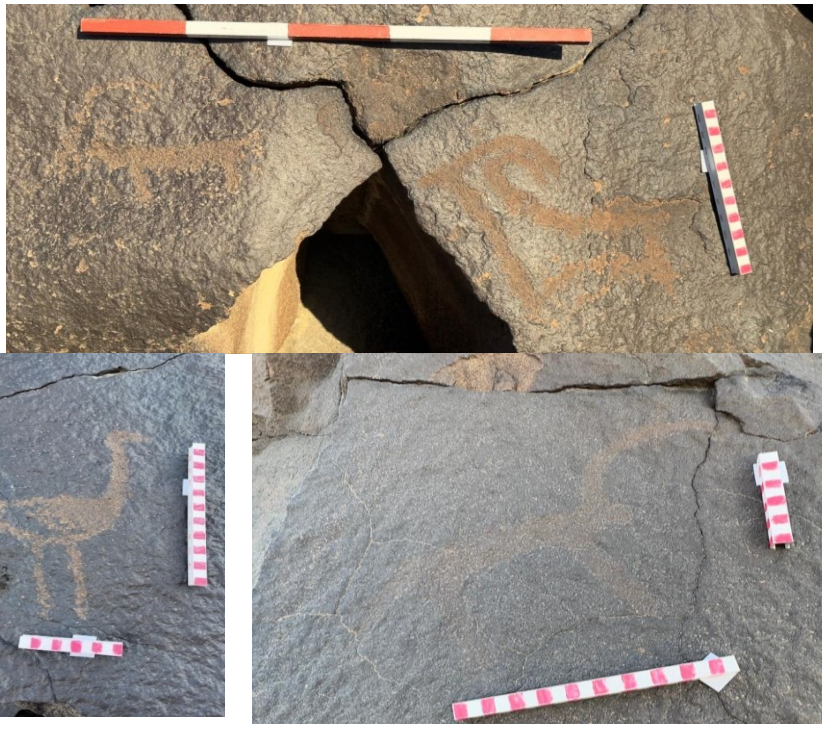

لوحة 6: غثران 5 و6

لوحة 7: غثران 7 و8

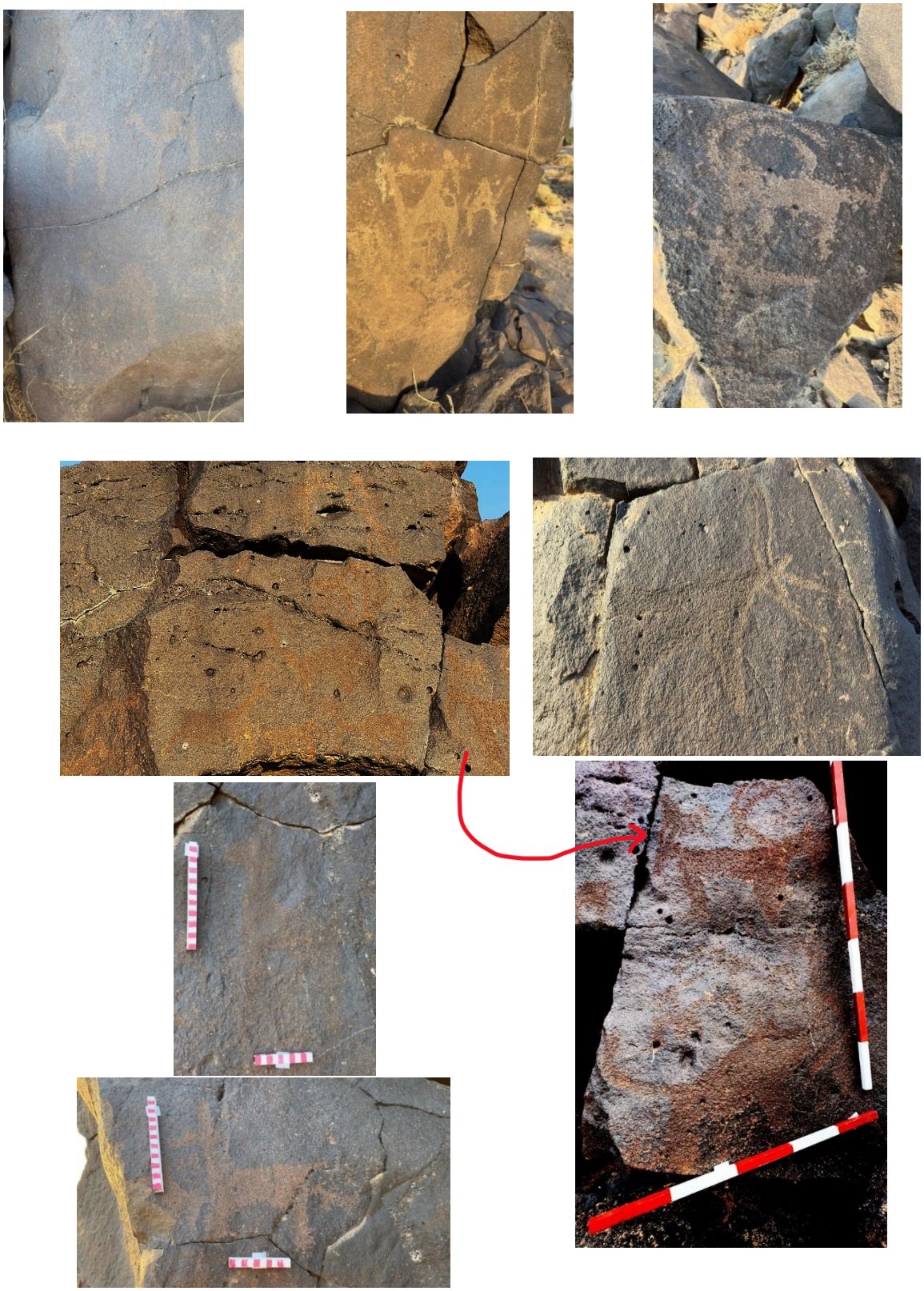

لوحة 8: غثران 10

لوحة 9: غثران 11 و12

لوحة 10: غثران 13 و14

لوحة 11: غثران 15 و16

لوحة 12: غثران 17

لوحة 13: غثران 18

لوحة 14: غثران 21

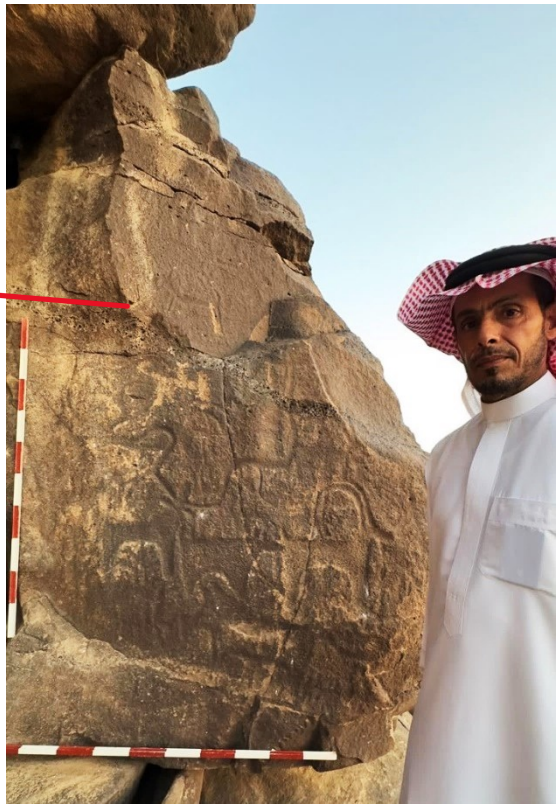

لوحة 15: غثران 22 والأستاذ سعد بن هميل أمام إحدى الواجهات الصخرية المميزة

لوحة 16: غثران 23 و24

لوحة 17: غثران 26 و27

لوحة 18: مشاركة الكلب في صيد الحيوانات المختلفة بالفنون الصخرية

[Guagnin, M. et al., "Pre-Neolithic evidence for dog-assisted hunting strategies in Arabia", *Journal of Anthropological Archaeology* 49, 2018, pp. 230- 233; Abdul Nayeem, M., the Rock art of Arabia; "Saudi Arabia, Oman, Qatar, The Emirates & Yemen", Hyderabad, India, 2000, p. 467]

لوحة 19: المؤلف أمام إحدى الواجهات الصخرية في شعيب نجلة أحد روافد وادي غثران

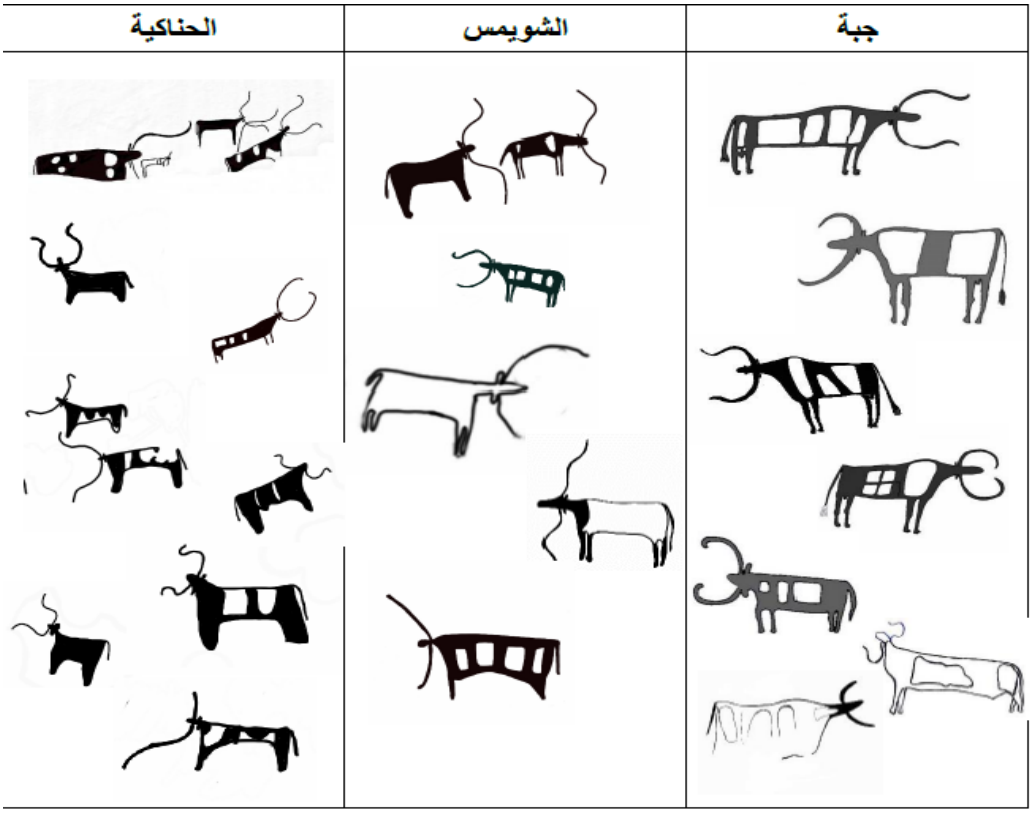

لوحة 20: الأبقار ذات القرون الطويلة في جُبّة والشويمس والحناكية

[سارة بنت فالح الدوسري، أسلوب جبة في الفنون الصخرية، ص116]

الحواشي السفلية:

[1] أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير للأستاذ "سعد بن عبد الله بن هميل بن قطنان" نائب المجلس البلدي في محافظة رنية (سابقاً) والمهتم بالتاريخ والآثار، الذي قام مشكوراً بجولات ميدانية عديدة في المحافظة وتوثيق ما بها من فنون وكتابات

صخرية بعدسته، ومنها وادي غثران، وزوَّدني بها وسمح لي مشكوراً بدراستها دراسة علمية ونشرها. وعظيم شكري وامتناني إلى كل من الدكتور "عبد الله الزهراني" مدير عام البحوث والدراسات الأثرية سابقاً، والدكتور "نايف القنور" مدير عام التسجيل وحماية الآثار في هيئة التراث لموافقتهم على نشر مجموعة من الأبحاث العلمية عن محافظة رنية وآثارها ومنها هذا البحث، وكذلك لسرعة استجابتهم للبلاغات المُقدمة من الأستاذ "سعد"، وتشكيلهم فريق بحثي برئاسة الدكتور "سالم القحطاني" لتوثيق وتسجيل عدد من المواقع الأثرية بالمحافظة خلال شهر يناير 2024م.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور "سليمان الذييب" (أستاذ الكتابات العربية القديمة– جامعة الملك سعود، والمستشار الثقافي بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وبالهيئة الملكية في العلا)، على ملاحظاته القيّمة حول قراءة الكتابات العربية القديمة (الثمودية)، وللأستاذ الدكتور "حسني عمّار" (أستاذ عصور ما قبل التاريخ– جامعة القاهرة وجامعة الملك سعود) على قراءته مسودة البحث وتقديم العديد من الملاحظات العلمية التي قوَّمَته.

[2] الزَّغَبُ والوَبَرُ الذي يعلو المنسوجاتِ.

[3] الطُّحْلُب وهو الخضرة على رأْس الماء، ويقال ينبت في الماء ذو وَرَقٍ عِراضٍ.

[4] أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ج 8، ط 1، دار إحياء التراث العربي– بيروت، 2001م، ص101؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ج4، دار ومكتبة الهلال، د. ت، ص399–400.

[5] أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١ هـ)، ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ج1، ط1، مؤسسة الإيمان– جدة، 1982م، ص569.

[6] وأَرْض رَغَاثٌ: لا تَسِيْلُ إلا من مَطَرٍ كثيرٍ (الصاحب إسماعيل بن عباد (٣٢٦ – ٣٨٥ هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ج1، عالم الكتب، بيروت، 1994م، ص406)، هل هناك إقلاب؟

[7] إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج2، ط4، دار العلم للملايين – بيروت، 1990م، ص765، 766.

[8] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر، 1979م، ص412.

[9] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م، ص644.

[10] هو عمرو بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان، وقد سُميت البلادُ التي يسكنها بنوه باسمه، والتي تنقسم إلى ثلاثة أقسام (بنو عمرو السراة، وبنو عمرو البادية، وبنو عمرو تهامة)، وعُضَيْدَات من بلاد عمرو الشام أحد قسمي بني عمرو السراة (عمرو الشام، وعمرو اليمن) (عمر غرامه العمروي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج3، بلاد رجال الحجر، الرياض، دار اليمامة، 1398هـ، ص158، 160، 174).

[11] بفتح الميم وطاء مهملة ساكنة وفتح اللام ثم ألف مقصورة: جبل من أعلى جبال السراة، يرتفع عن سطح البحر 2900م (عمر غرامه العمروي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج3، ص12).

[12] حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر) يحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، القسم الثاني ر– ف، الرياض، دار اليمامة، (د. ت)، ص1044.

[13] حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران نصوص، مشاهدات، انطباعات، الرياض، دار اليمامة، 1977م، ص71، 72، 125، 172.

[14] استخدم "حمزة" هذا المصطلح (شعيب) للإشارة أيضاً إلى وادي رنية نفسه (فؤاد حمزة، في بلاد عسير، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، 1968م، ص48)، مما قد يشير إلى عدم وجود فارق بين المصطلحين وعدم اقتصار أحدهما على مجرى مائي من حيث طوله أو عرضه.

[15] فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص49.

[16] حسب خريطة جوجل إرث، كما استخدم "أ. سعد" عدّاد السيارة لقياس الجزء الذي قام بمسحه (من المفجر إلى الأملح) فكانت 28كم. يخترق في جزءٍ من هذه المسافة –بطول حوالي 12كم– حرّةَ بني هلال، وبعدها يسيح في أرض منبسطة بها بعض الصخور حتى يصل إلى الأملح.

[17] معلومة من أ. سعد بن هميل من خلال جولاته الميدانية.

[18] يبدو أنَّ الوضعَ الحالي (عدم الاستيطان) لم يكن وليدَ اليوم؛ فإشارة "فؤاد حمزة" باعتبار الأملح: هو أول العمران في وادي رنية من جهة الجنوب الغربي، وهو ملتقى طرق القوافل بين الخرمة ورنية وبيشة (فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص49)، تؤكد هذا الوضع –على الأقل– منذ عشرات السنين، وإنْ كانت تقيم فيما وراءه ووراء الحرّة من الناحية الشمالية جماعاتٌ من البدو الرحل التي ترعى أغنامها على نباتات الوادي ثم تعود إلى مرابضها مرة أخرى (معلومة من أ. سعد بن هميل).

[19] محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ج4، الطبعة الثالثة، 1418هـ، ص159.

[20] لا يوافق البعض ومنهم "الجاسر والحربي" على قول "حمزة"؛ حيث يذكر أنَّ الوادي ينحدر من سراة خثعم وشمران وبلاد غامد، وأنَّ أعلاه تسكنه قبائلٌ تابعة لمنطقة عسير، وعلى ضفته الجنوبية مركز الجعبة يتبع محافظة بيشة (علي بن إبراهيم بن ناصر الحربي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير، ج2، الرياض، 1418هـ، ص748).

[21] فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص48.

[22] يُطلق هذان الاسمان معاً –في المراجع الحديثة– على الحرّة المعروفة قديماً بحرة بني هلال بن عامر، والتي سمَّاها الهمداني حرّة نجد. وقد ذكرها الهجري نقلاً عن الأشجعي: حِرار العرب أولها حرّة بني هلال وهي المنبتِلَة من الحِرار برنئة من حجاز النجد المتيامن. وقال حرّة بني هلال معترضة من أسفل سقف الطود إلى مهبّ الشمال أرجح من ستة أيام، ومن الشرق إلى الغرب شطر ذلك. وحرّة البقوم (نسبة إلى قبيلة بالاسم ذاته) في الوقت الحاضر تشغل القسم الجنوبي من حرّة بني هلال القديمة، التي يفلقها وادي كَرَاء (كَرَى عند الهمداني) الذي يطؤه حاج اليمن، مياهها الغربية في وادي تربة، والشرقية في رنية. أما حرة النواصف فهي القسم الشمالي من حرّة بني هلال وتشرف على بلدة تربة من الشرق (حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص75– 76؛ حمد الجاسر، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، الرياض، 1969م، ص231، 233؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز (1– 10)، ط2، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع & دار مكة للنشر والتوزيع، 2010م، ص437، 449). وقد أطلق عليها فؤاد حمزة اسم حرّة سبيع وأنها تقع على يمين المسافر من الخرمة إلى رنية (فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص45).

[23] عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج2، إقليم جنوب غرب المملكة، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984م، ص62.

[24] معراج بن نواب مرزا، "الجيولوجيا"، موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد 2، منطقة مكة المكرمة 1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1428هـ1، ص23.

[25] معراج بن نواب مرزا، "الجيولوجيا"، ص33؛ معراج بن نواب مرزا، "التضاريس"، موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد 2، منطقة مكة المكرمة 1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1428هـ2، ص42، 45.

[26] حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، 362.

[27] من المثير للاهتمام أنه بتواصلي مع هيئة التراث، وصلني قائمة بخطوط الطول والعرض لما يزيد عن مائتي موقع للدوائر والمنشآت والمذيَّلات الحجرية بأنماطها المختلفة، الأمر الذي قد يشير إلى وجود أعمال مسح أخرى قد أُجريت في السنوات الأخيرة، ولكن نتائجها غير منشورة حتى الآن.

[28] يوريس زارينس وآخرون، "التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية (1399هـ/1979م)"، حولية أطلال، العدد الرابع، الطبعة الثانية، 2001م، ص9- 34.

[29] Zarins, J. et al., "Preliminary Report on the Central and Southwestern Province Survey", **ATLAL 4**, 1980, pp. 18- 19.

[30] عبد الرحمن كباوي وآخرون، "تقرير مبدئي عن مسح الرسوم والنقوش الصخرية (الطائف– الباحة)، الموسم الخامس 1410هـ"، أطلال 13، 1990م، ص42، 47، 49، 51.

[31] الراشد، سعد بن عبد العزيز؛ وآخرون، آثار منطقة مكة المكرمة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، ج2، الرياض، 2003م.

[32] عبد الرحمن كباوي وآخرون، "تقرير مبدئي عن مسح الرسوم والنقوش الصخرية (الطائف– الباحة)، ص41؛ الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، "رنية"، تحرير سعد العبد الله الصويان وآخرون، المجلد الثاني "المواقع الأثرية"، ط1، الرياض، 2000م، ص286– 287.

[33] في الوقت الذي تعتبر فيه جودة وضوح الصورة سبباً منطقياً وجوهرياً لاختيارها ضمن عينة ونماذج الدراسة، فإنَّ هناك سبباً علمياً آخر يتمثل في اختيار عددٍ من الواجهات الصخرية التي تُعبِّر عن موضوعات مختلفة لما كان يجول في خيال أصحابها آنذاك، وتمَّ تنفيذها بأساليب وأنماط فنية متنوعة.

[34] حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص402.

[35] للمزيد انظر: محمود عبد الباسط، "الكلب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام: تناغم بين البشر والحيوان"، في كتاب خاص لأعمال المؤتمر الثاني لـ "المروية العربية" مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض–المملكة العربية السعودية، المنعقد في 5– 6 مايو 2024م، "قيد النشر".

[36] أبو الفتح محمود بن الحسن الكاتب كشاجم [ت بعد 358هـ]، المصايد والمطارد، حققه وعلق عليه الدكتور محمد أسعد طلس، بغداد: مطبعة دار المعرفة، 1954م، ص136؛ عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، "الكلب في شعر ما قبل الإسلام"، مجلة جامعة بابل– العلوم الإنسانية، مج 9، ع 1، 2004م، ص190– 196؛ هشام لعور، "الحيوان في الشعر العربي القديم"، من منظور النقد الأسطوري– دراسة في كتاب: قراءة ثانية لشعرنا القديم لمصطفى ناصف"، مجلة الآداب، المجلد 15، العدد الأول، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1، الجزائر، 2015م، ص138– 140.

[37] أحمد الحوفي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، القاهرة: مطبعة الرسالة، والناشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1958م، ص105– 107.

[38] مديحة محمد رشاد، وماري لويز إينزان، فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2007م، ص101– 102؛ 114– 115؛ 190 وما بعدها.

[39] عبد العزيز بن سعود الغزي، الفنون الصخرية في المملكة العربية السعودية: تاريخ دراستها، مميزاتها، أنواعها، معايير تاريخها، ضوابط تصنيفها، موضوعاتها، دلالاتها، الرياض، 2023م، ص10– 21؛ 59– 64.

[40] سارة بنت فالح الدوسري، أسلوب جبة في الفنون الصخرية بالجزيرة العربية دراسة آثارية تحليلية، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، 2018م، ص115.

[41] للمزيد انظر: محمد عبد الله باسلامة، صيد الوعل في الحضارة اليمنية القديمة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة صنعاء، مجلد 33، ع 1، 2010م، ص127– 154؛ علي بن مبارك طعيمان، مصائد الوعول في مدينة صرواح القديمة وما حولها دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، 2014م؛ حامد عبد القادر بافقيه، صيد الوعول من الطقوس الدينية المقدسة قديماً، مجلة جامعة عدن الإلكترونية، ع 8، 2017م، ص159– 176؛ محمد عوض منصور باعليان، أسلحة صيد الوعل ووسائله في حضرموت في ضوء المعطيات الأثرية والنقشية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية– جامعة الجيلالي وبنعامة– خميس مليانة، ع 6، 2021م، ص189– 221.

[42] للمزيد انظر: حمد محمد بن صراي، الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، 1999م؛ سليمان بن عبد الرحمن الذييب، الإبل عطايا الله، منشورات المجلة العربية 321، الرياض، 2024م؛ محمود عبد الباسط، الإبل في الكتابات والفنون الصخرية بمنطقة حائل، مجلة الجمعية السعودية لدراسات الإبل، العدد الأول، الرياض، 2019م، ص38– 62؛ محمود عبد الباسط، الجمل العربي ودوره القتالي في شبه الجزيرة العربية بين رواية هيرودوت والشواهد الأثرية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني، 2022م، ص127– 151؛ محمود عبد الباسط، الإبل العربية في الكتابات الكلاسيكية: دراسة حضارية– مقارنة مع الشواهد الأثرية في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 37، كلية السياحة والآثار (2)، الرياض، 1447هـ/ يوليو 2025م، ص41– 86؛ أحمد حامد نصر، الفنون الصخرية للإبل بشمال المملكة العربية السعودية ودورها في فهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعات ما قبل التاريخ: جبل عرنان أنموذجاً، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 37، كلية السياحة والآثار (2)، الرياض، 1447هـ/ يوليو 2025م، ص1– 40.

[43] ندى بنت مسفر الردهان، الخيل بالفنون الصخرية في المملكة العربية السعودية: دراسة آثارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية السياحة والآثار– جامعة الملك سعود، 2012م.

[44] رحمة بنت عواد السناني، طائر النعام في رسوم شبه الجزيرة العربية: دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب– جامعة بني سويف، المجلد 5، ع 9، 2020م، ص17– 57.

[45] حسني عبد الحليم عمّار، الدلالات الحضارية لهيئة الأسد في الفنون الدادانية، أدوماتو، ع 35، 2017م، ص75– 86؛ جميلة بنت فريح الجهني، الفنون الصخرية في موقع المليحية في منطقة حائل دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، 2017م، ص133– 134، 153– 154، 216.

[46] سليمان عبد الرحمن الذييب، نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999م، ص9، 196.

[47] يوريس زارينس وآخرون، "التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية (1399هـ/1979م)، ص21.

[48] يوريس زارينس وآخرون، "التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية، ص10، 12– 33.

[49] عبد العزيز الغزي، الفنون الصخرية في المملكة العربية السعودية، ص35– 39.

[50] عبد العزيز بن سعود الغزي، المنشآت الحجرية القديمة في دول مجلس التعاون الخليجي خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد دراسة مقارنة، الرياض، 2013م؛ عبد الله بن محمد الشايع، أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه الجزيرة العربية، الرياض، 1430هـ.